عشقيات

حيدر عاشور

(هوية الكتاب)

اسم الكتاب : عشقيات / ١

الكاتب : حيدر عاشور العبيدي

الناشر : قسم الإعلام - شعبة النشر - وحدة التأليف

سنة الطبع : ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

المراجعة اللغوية : عباس عبد الرزاق الصباغ

التصميم والاخراج الفني : حيدر عدنان الخفاجي - ميثم الحسيني

هذه العشقيات الحسينية

أهديها لكلِّ محبٍّ للإمام الحسين
(صلوات الله عليه وعلى جدهِ وأبيهِ وأمهِ وأخيهِ)

لقد تعلمتُ أن أستغَيثَ به في كلِّ شدةٍ وكربةٍ فيغيثني وينقذني.

لقد تعلمتُ من الإمام الحسين (عليه السلام) أن أسامحَ كلَّ من ظلمني، إذا كان محبّاً لأبي عبد الله الحسين(عليه السلام) ، وأن أقول في صلاتي منذ صغري: اللهمَّ اغفرْ وارحمْ كلَّ منْ ظلمني أو اغتابني أو أساء إليّ.

لقد تعلمتُ من الإمام الحسين (عليه السلام) إن خدمته بإخلاص ونية صادقة، سبب التوفيق في الدنيا، والنجاة في الآخرة.

اللهم اجعلني مع الإمام الحسين (عليه السلام) حيّاً وميتاً، وعند حشري ونشري، وعند الصِّراط والميزان، وعند لقاء المصطفى محمد (صلى الله عليه واله)، والمرتضى علي (عليه السلام)، والأئمة الهداة عليهم جميعاً سلام الله.

اسكُبْ ضياءَكَ شفاءً في دمي

سيِّدي، نقفُ على أبوابِك بعيون حرقها الأمل. نمرُ بمهارة كالفقراء الهاذين، تتضاعف مسكنتنا، نتضرع بصمت بكل ما يحترق وينخر في قلوبنا، لأن الرقة التقاء عين مغلقة بعينٍ مفتوحة، أو الإحساس بتقبل خطواتنا المترددة لمن يضلّ طريقه، كما لو كان النور يأمر العقل إلا ينشغل بأقنعة الوجوه ليقول: أنت تحت قبة الرحمة، أنت في حضرة الوجيه عند الله. ليختبئ عنده ألمك وتأخذ حاجتك. أنها مسألة العرفان بحقه: انهُ يمسك بناصية أعمالنا من وسطها، ككفّتي الميزان.

حين نقف عند أعتابك الطاهرة بقلوب يسكنها الوجع والروح تئن.. نتوسل بك إلى الله أن تقف بجانبنا، تنظرنا، واجعلنا نغفر للمذنبين إلينا مواربين، ونجنا من كل شرورهم. انهم يريدون أن ينتزعوا ذواتنا الخالصة لوجهك الكريم في عمق ضيائك، بعد أن هاجرها ماضي الضالين، وهيهات أن يرجع.. مكانك الطاهر كالنور مهّد لنا طريق الهداية من ذا الذي يهددنا..؟ لم نعد نشعر بالأيام في حضرتك، وتظل الحياة بجوارك كلها لحظة..! نأمل يوما نسمع صوتك، فأنت الوجيه المجاب لدعوة من لاذ بترابك. نتظر إشارة الرضا تخرج من نور ضريحك، تحمل معها أبهى أنوار ظلك الدائم بأمل نفوسنا وأرواحنا الهائمة حولك..

نقف أمامك دائما ونحن لا نراك حتما.. نعلم حد اليقين انك هنا في كل مكان على مسمع منا خلال التضرع بالصمت والسكون والنحيب. فأرضك كالنور وسماؤك كالأرض.. نحن نراك، فعطاؤك كوجيه عند الله يدل عليك في آلاف المرضى والمحتاجين والسائلين، لا تفرق بين احدٍ في عطاياك.. ويتزايد ضياؤكَ في شفاءٍ كل الوجوه، فأسكبه شفاءٌ في دمي ! وبابك مفتوح عمن يبحث عن هذا الضوء؟!. مبارك لمن يسقط عليه ضوء ضريحك، فلا حزن بعده ولا خوف من يقين (الموت).

أسمعُ صوتَك في قلبي

سيِّدي، حينَ أرقدُ في ضريحِكَ، بجانبك بلا بوعي. تغادرني الأوهام، وأشعرُ كفك على قلبي يبدد أوجاعي وهمومي كذرات التراب، وأسمعُ صوتك في قلبي: ضع يدك في ضيائي، واتحد مع نوّري، وأصرخ في طلبي، وأقف طويلاً تحت قبتي كي لا تفقد ما تملكه من مَلكة، ولا يضيع منك أجر كلمة. تشبّث بمرقدي فتزدد ثقلاً شيئاً، فشيئاً في المعرفة وخفة من الذنوبِ، وليذهب كل ما عدا ذلك فهو زائل، وكل شيء تراه في الحياة يموت، يموت عن طيب خاطر. أعرف إن خطواتي تتآكل لولا شمسُك ترممها، ودعائي في حضرتك يطفئ اعترافاتي ويغسل شواهدي المقلدة والمرتدية بقلادةِ الأخطاء.

أنا أعتمدُ عليك وحدك، حين أرجوك وأتضرع لله بك، فكل شيء فيّ ذنب والحياة فيها بعض الناس أسوأ من الوباء. أقنعة مموهة بالبراءة، لا تحب بعضها البعض، تهيم بك عشقاً، وتغير غيرها، ولا تتغير. يكاد اليأس يقتلنا حين نرى الظلم أمامنا ولا نرى أحداً يثور عليه. رغم اليقين إن قربك في البعد، وبعدك في القرب، فمن سلك طريق معرفتك وتوغل في عمق مصابك، وجدك في كل ضياء تنثر كراماتك. وأنا ما زلتُ أقضي عمري القصير بين أذرع نورك. أحصد منك الألم قواميس أنزفها عشقاً على تراب مقدسك. ألوّن عيني بابتهاج خدمتك، واقترب منك رويداً.. رويداً، وقلبي نافذة فتحت للشمس أذرعها، ترسم بضوء الأمل جدثك أبياتاً من الشعر غطاؤها دمك الطاهر.. فيبتهج قلبي، بلا إرادة، أرفعُ لك أكفي متضرعاً كي أنال رضاك بإشارة ضوء تنزل على فؤادي تطفئ قلقي وأوهامي، وتُجرف همي وألمي وجراحاتي المخبّأة في لجَّةِ أخطائي. يا بهجة القلب أنا الغريق الطامحُ بالوصول إلى ساحل رضاك، أرمي جسدي على مرافئ نِبراسك كي يَعْفُو الله عني برضاك.

أنتَ يا سيدي.. وطنٌ أعشقُهُ

سيِّدي، في صباحِ كلِّ يوم، لي كل هذا النور، أرمم به النفس الامّارة بالسوء، وأحلم أن أكون في وطنٍ، أبيع به السعادة تضرعات، لأجد جنتك اذا ضاعت انسانية الحياة؛ كفقير ينتظر يوم القيامة.. يفكر في الجنة ويرسم النار!. ومن أجل تكرار غياب مشهد جنة الوطن. سيكون ضريحك وطني، جنتي.. وأبدل اسمي بالحسيني كي تعرفني مدينتك، ومن لا يفكر بوطن الحسين، يسمع ما أفكر فيه.. سأظل أرنو في طريقك كي أحصل على لقب اسمك.. كيف يسمى الإنسان حسينياً ولا تعرفه كربلاء..؟!.أنا أصدق قلبي وأندم. حائرٌ الى أين أمضي. لا أرى شمسا في وطني ولا شجرة مثمرة، وكل من حولي قادني الى مشهدٍ غامض، يقتل فيّ حب الإنسان، يزجّني في الفراغ، يقصّ جناحي، فاسقط على جهة لا أراها، فأكون في لحظات من الصمت، أتخطّى طرف الحقيقة، يجثم فيها القلق، والأرق. بعدها لن أعرف سوى صوت.هنا تراتيل لمآتم الفقراء، هناك صرخات شباب غلبهم الهوى واليأس غاب عنهم الوطن، لم يعد يبصرونه، يريدون أن يغرسوا أكفهم القوية في الأرض كي تثور بركاناً في رؤوسهم.. والقمم فيها قادة من كارتون، تعيد في الصالحين ذكريات الجرح الدفين، حزن بين الحاء والكاف، والخلود والهيبة مع الطاء. امنحني نورك ليكون وطني، لأعيش بأمان تحت رحمتك. لم تعد لي رغبة في أي شيء، سوى الرقود بقرب جدثك، ومكان أليف بروحانيته أكتشف نفسي كأني لا أحد. أبكي بما أفكر: بهيبة رجل حر، يعشق حرا كأنه وطن، وحنونا بدرجة فقير، وحسيني بدرجة كريم. فأنا بدونك أقل من عاشق وأصغر من موالٍ.. وفيك تهتزّ روحي، وتُعشب دقات القلب في تراب جسدي، أزاهير من الكلمات تأتي إليك بعشق وطن وأغلى.. فأنت الآن وطنٌ أعشقه. فما أبهاك من وطن.

أطيب المناداة عندي.. السلام عليك سيِّدي ومولاي

سيِّدي، لمشهدي وأنا أُقبِّل بابك أحساس أخر، ترتجف بالقُبلةِ شفتي، وشعور أخر يحرك الخوف في داخلي، يضطرب وجهي، لا أستطيع السيطرة على جسمي وكأنني سعفة نخيل مُصطنعة، لا تعكس إلا الرجفات.. فأسلم نفسي للانبهار والخوف أمامك. فأقول متضرعاً: لا يمكن اقتلاع جذوري من مرقدك. أنا نفسي كالنبات يحمل حبات صابرات، يصرن على وضع أصولهن بين صخور مقدسك أو مثل طائر الحضرةِ يصر على أن يأكل من حبات أرضك، ويضع جناحين لعشّهِ فوق منائر قبتك. أتحدث عن زيارتك، عن رؤيتك. أعرفُ أنك حي، فلا يطيب لي عند رؤية مشهدك غير المناداةِ.. السلام عليك - سيِّدي ومولاي- فيها كل شيء موجود، كل شيء يُرى، لا يوجد حجاب بين عيني وجدثك، أمشي في نور وأعيش في نور وكل النور نورك. وأنا في حضرتك خجل منك، أخاف أن يمسك بخناقي العقاب الإلهي على ضوء تضرعي. فالعين التي ترى الباطل ولا تحرك ساكنا في عمق نورك، عليها أن تخاف من العمى!. أقوى الرجال تحت قبتك جثوا على ركبتيهم من الخوف أمام نورك: احذروا الأنوار المشعة في الضريح فكلها ملائكة؟. ابيض نورها جيش تسلم الرحمة، وضياءها ماءٍ صافٍ يُغسل القلوب المسودة، ويطهر الأجساد النتنة. كلنا نتعجل أن ترينا شاراتك. خذ بيدي وقُدني، وحررني من قيود نفسي، فما زلت أدرس فن التضرع في ومقدسك لنيل الرحمة، أتخلص بها من أوهامي؛ وأزدان بك معرفة بالدوّامات التي تحفرها روحي يوما بعد يوم تُروي ظمأ لهفتي لرؤيتك في التضرعات الصامتة بنوايا أنت عالمها، ولكن ما زال ارتياعي من نفسي يلاحقني بالخوف منك، والبحث عن شفاعتك، يا لصعوبته. يا لسهولته بالمناداة السلام عليك يا مولاي.

في ضريحكَ.. أفتشُّ عن بقعة ضوء تضمُّني

سيِّدي، في ضريحِكَ ألزَمُ نفسي بالتضرّع، وألجأُ لجدثك كالفاقد ذاته في هذا الزمن المهادن، أحوّلُ بقربك تعاستي دعاء، فيقلّ كلامي ويكثرُ ما بيني وبينك السلام بصمت عذب. فأتجلّى، واحسُّ بي خفة ضوء يتسلّق جسدي فتطير روحي وكأنها تتبع ريح نور اسمك. أنبهر بالنور لحظة أن أنسى. أحزن لحظة أن أتذكر. كل يوم روحي بهذا الخفوت النبيلْ، تفتّش في ضريحك عن ركن يضمّ جسدها على مسمع منكَ.. فأتخيّل انك دائماً هنا بالقرب مني، بجواري، وكل ما نطقت السلام عليك أشعر أن ضوءاً يطهّرني ويغطّيني بنقاب الصلوات أريد أن أستبدل به كل حياتي بضريحك، وأن تسكن روحي ترابك، فانا الآن لا تألفني غير كربلاء وأسمال جسدي. لم تبق لي إلا رحمتك، ما زلت فيها أعيش، وجدثك الطاهر هو وحده الذي ينطق بها، تتلألأ مثل لآلئها في عيون زائريك، عارفيك، الملائكة المقيمون تحت قبتك.. المؤمن يفهم أن الرحمة تسري كالنجوم خلال صمت نورك، وسكون ضيائك، يفهم ان الله كتبها على أبوابك.. لا أحد ينالها – لا – غير من نادى باسمك، وبكى بجزع عند مذبح رأسك، ونضج بيقين معرفتك. أقفُ الآن! على أبوابك، والسماء تفتح منافذ الرحمة بشهر الغفران. أقيم لنفسي الفروض، أستلّ من عمقها ظُلمتي، وأصعد نحو سماءٍ طاهرةٍ؛ فمنذ خمسين عاماً كنت محتضرا بالوهم وما أزالت محتضرا، والحقيقة الوحيدة في حياتي هي حضرتك، ذاكرة لم تخدشها فوضى السياسات.. هي سمائي الوردية تمنحني في كل شدة قوة، وذكريات تطوف حولها الشُبهات، كنقطة مضيئة في سجلات العتمة.. فأكون في حرب الوصول اليك نقياً، أتجلّى ترفعني موجة رضاك وتسكبني الدموع أنهاراً أنا بين يديك أجلس روحاً تجمع كل عتبات الألم، وقلباً يحوي كل دموع اللهفة..

يا بنَ فاطمةَ.. أسألُك الأَمانَ بليالي القرآن

سيِّدي، أنزوي بذاتي وألغي المسافة والزمن بيني وبين الأمل، وَأغسل روحي بفيء روحانية ضريحك ، وأرسم لنفسي اللوّامة، بكلام الله ترانيم التضرّع الدائرحولك لعل روحي تبصر إمامها فيعَّمدها بالطهارة والقبول. مولاي عمِّدني برضاك وتقبّلني في شهر ربيع القرآن، وارفع عني ظلمات الوهم، وافتح لي أبواب الرحمة، وانشر عليّ الحكمة، والصق جسدي المجبول بتربتك، المصبوغ بألوان الأحلام على أرضك وحولك، وصيّره كيفما تشاء.. فأنا أتكوّر بين يديك صرخة غير واضح صداها، وصورة إنسان يأمل ان تصطفيه أرضك فيكون أنسانا روحه تتباهى أنها خلقت على ارض طهور كأرضك، وجزعت النفس بأول صوت نطق اسمك، إلى ان كبر الجسد- ظلت لوّامة جزوعة حزينة في السرّ وفي الخلوات تتهيّأ إلى مشهد لقائك. أرى كل شيء ولا أراك في ليلة جعلها الله خيرا من الف ليلة، كسرت في جسدي كل الرغبات، وفكّت عن روحي كل الأوهام، وعطّلت منظومة الأماني في نفسي، ففاض القلب شوقا للبحث عنك، أصبحت أهيم بين الروضتين كأنني أرى كل شيء ولا أراك. أحسُّ بحاسة الجمال تشمّ رائحة وجودك ولا أراك.. إيه يا صبر المنتظر، كم تذَيقك الليلة من جمال المشهد المقدس رؤيا (المكان، القرآن، الدعاء، الإنسان) الكل يتصفّحون قاموس الإمامة وينتظرون اللحظة التي تفتح أبواب السماء لتسجّل الملائكة أسماء الوالهين.. فبينهم وبين النعيم لحظة نور بمسيرة عام. هذه ليلة الله العظيمة، كن لي أملا مقيما في قلبي، وانظر اليّ وارض عني. فمن لم يشعر بالرضا لن يشع قلبه بالقبول !. جليّ انك الآن تراني أتوسل إليك كثيرا، وقد وهبك الله الكرامات فـ(الإمامة من ولدك والشفاء في تربتك والدعاء مستجاب تحت قبتك).أنت معي هنا في رحاب مقدسك فأسألك بحق فاطمة الأَمان بليالي القرآن..

كلُّ جرح باسمك كتاب.. وكل موت باسمك شهادة

سيِّدي، اليوم كلَّ كلماتي تضرّع وشكوى، أنها نزلةُ جزع وانتفاضة قلب. اليوم كل البشرية تعيش ألم ضربة رمضان بفجر ليلة القدر، الملائكة يهبطون على سنا القمر. النهار يطلع في كوفة هائجة دامية تبكي سماؤها دماً. التاريخ والزمن والمكان يتمددان، يتصارعان ما بين الخير والشر.. ما بين الجنة والنار. وصوت «فزت ورب الكعبة»: صرخةٌ ما زالت تسري من الأرض الى السماء..!. وما زال الموت على اسمك يدخل ويخرج.. يخرج ويدخل في بيوت شيعتك. هذه هي شهادتك، هذا هو الوداعُ المضمّخُ بالتمتمات الخفية. المٌ من نثيثِ الروح يرى الآن في العراق مذابح..!. بأي سيف خائن يحلم مواليك في صلاتهم، والسيوف قنابل الموت، تحمل قلبا بشعاً حاقداً مجبولا بكره اسمك. هذا هو الظلام الأخير ينداحُ منذ مذبحك، لمذبح ولدك. فكانت الجراح تنزف كلماتك، والدم يجري افكارا والموعظة مثل كتاب بلا حروف. كان دمك سيدي، ظلاً وماء. جرحك ما يزال ينظر بنظرة ما نحن عليه الآن ونستطيبه..؟ ينزف وقتما نخلط النعمَ بنعم للباطل لا باللا حق.. فثوابت الحق مطارق في برج ضربتك. فمن إذن يوقظنا من نومنا الطويل..؟ متى ضربة هامتك تجعلنا رجالا أقوياء في الحق..؟. فكل جرحٍ باسمك كتاب، وكل موت باسمك شهادةٌ، وكل ميت باسمك شهيد. يقينيً ارتجاج دمي في معرفتك، يقول: كن علياً فالعلويون يولدون شهداء.. كن حسينياً فالحسينيون يولدون شهداء.فأي شيء يمنعني من أن أتبع الحق الآن دون خوف او وجل؟ وأنا أعلن نفسي في كل زياراتي فداء لخلودك، مطالباً بالثأر من أعدائك.. سيدي، رمِّمْ خطاي واجعلني فداءً عنك، ومن أجلك. جدّد خطواتي الساهِدة وعلّمني مرثية تطهّرني من داخل نفسي، فلم يعد لي في حضرتك، سوى قلمي هذا السند الضعيف.

صوتُكَ أيقظَني من غفوتي

سيِّدي، ليت صوتي مئذنَة، لتراهُ صرخة في عُمقيَ، تلوّحُ اليك من مركب تُسيّره مياهُ الرّغبات، أخشى أن لا تراني، وقد تيّبس جسدي ولم يعُد بي ما يُكسر.

سيَدي، بأي صوت أصل اليك، وأنا فقيرٌ مسكنه الضوء وضريحك شذاه.. بأي التضرع الخالص، أشق منافذ النور، لأقنعَ ملائكة الضريح بطهارة ولائي.. بأي كتابة ولغة أطرق أبواب رحمتك ليفتح لي حبيب، ويسجلني ويثبّت لي قدم صدق معك.

صوتكَ أيقظني من غفوتي، والقلب انتفض بمحاذاة جدثك، مُمتناً لتراب أقدام زائريك وهي تُغسل روحي من أدْرَانَها، فأثبت عند رأسك الشريف، وأرسل اليك عبر تضرعاتي أسئلتي بدمعة، برجفة، بحكاية تؤلمني بانتشاء وجودي حولك. انثرْ عليَّ ضياءكَ لأسْمعكْ في ضريحكَ، فأنا متعب لا ضعِيف – حزين لا مُستسلِمَ، واغزلُ الدموعَ، واصْبغها بلون النواح، ولا ينْقُصني غيرُ الاحساس بطيب الشفاعة. جنة حقة؛ حين تنثر عليَّ ضياءكَ لأسْمعكْ.

انت ترى بفضلك فقدَ كل شيء، ولا أنتظر أن اربح شيئاً سوى رضاك. وفي أي مكان أبلغه لا أشتاق الا لسواك؛ ولا أحب لحظة بحياتي مضت.. سوى لحظة وجودي بين أنوار مقدسك.. فبدأت أحصي أيامي، فيطول الطريق اليك، ويمضي الوقت يأكل وقتي، لم اعد بوسعي أن افرّق بين اللحظة الآتية، والتي مضت. داهمتني فكرة التخلي عن الوقت، فتعلمت من وحي خلودك ان الحياة والموت كلاهما في قوة اللسان، والناجون فقط من تمسكوا بأبوابك.

أحلم أن أترك دمي يعانق صوتك، أشعرُ أنك تسمعني، أسمع وقع خطواتك في كل ركن من أركان حضرتك، فما زال بي أمل، وأحاول أن أراك. فما زلتُ أرتّب عطاياك في القلب، فأنت معي دائما وان لم نلْتقِ..

زدْ عليَّ توغّلي.. كي أفيضَ فيكَ سيلَ روحي

سيِّدي، زِدْ عليَّ توغّلي كي أفيض فيكَ سيلَ روحي، فما زلتُ أنقش صوت ضريحك على عيني، وسأظل قرب جدثك أتضرع حتى تنطفئ عيني، أو يُجندل بين كفي آخر أنفاس كلمات مفاتيح جنانك.. فاتخذ شباكك الطاهر عكازاً، واغتسل بغبار ترابك: يا آخر حرف في صفحة كتابي.

أجلسُ الآن بنورك حتى يتسلق فيّ الأمل، وينمو فيّ الإنسان توبة في ضريحك بيضاء، وأبدأ السير إلى مبادئك الفُضلى، وأرتدي عباءة ضوئك لأتقي المعاصي، وأقفل أبواب قلبي على منهج عقيدتك، لم تعد من رحلة أيامي سوى النور أتمناه من نورك، وصلاة مقبولة على تربة مقدسك، وتضرّع مستجاب تحت قبتك.. هذا مطافي الأخير: يا آخر صوت تغلغل في دمي.

لي حلمٌ ان أراك في أبهى حضورك لأُقبّل نورك، وأطلب منك ان تزيل الفواجع عن كربلائك، وتقمع القبح في نفوس شاربي ماء زلالك. مدَّ يدك الرحيمة تمسح على عقولهم؛ لتكشف سر عظمتك، وحرّرهم من حيث يتوهمون، فالباغي احرقهم بمكره، وباع شبابهم بالقليل. متى تغسل بماء كربلاء الزلال أخوة يوسف وتطهّر أعماقهم من دنس الشر..؟. كل شيء يهون عندك!: يا آخر ابتهالات روحي.

سأصغي لنفسي، وأرهف السمع، لسماع صوتك في قلبي، وسأغمض عيني كي اشعر ان كفك قد جسّت لي نبضي.. هو ذا ألمي، أحملهُ فوق روحي وأمضي اليك أعمى، انضوي حيث نورك، أُرممّ ما انثلم من الروح، واتهجاك بقلبي كي يخضّل جسدي هنيهة بنور ترابك: يا آخر أمل لي قبل مماتي.

عندَ باب رأسك الشريف كأن قدميَّ لا تلامسان الارض

أقرأُ، وأنا أتقدمُ نحو باب رأسك الشريف «السلام عليك يا قتيل العبرات» بارتباكةٍ وخوف، كأني أقترب بقدمين خفيّتين، لا يراني أحد سواك. أسالك بضراعة مهموم ممتلئ بالألم. لمَ لا أصل إليك بسهولة ؟! فيقشعرُّ جسدي من الخوف، ووقفت روحي بعيدا لا تجرؤ على المرور من بابك العظيم. لقد حذّرت نفسي، جسدي دائما ان لا يتقدم نحوك الاّ طاهرا، فعمّا قليل ستُقبّل الباب، وتمسح خديك بسديمها، وتبسط كفيّك بالدعاء.. فكن طاهرا يا جسد؟!.

ها أنا أمضي اليك محلّقا متصلا مدهشا، وفمي ممهورا بقراءة هسيس ضوئك، ويمضغ شذرات غبار زائريك. وعيناي تلمحان هذا الجمال كل صباح كأنه قطعة من السماء. لحظات غضّة تنمو بقلبي، تمنحني الإيمان .عيناي تمسدان جمال الباب وزخارفها النباتية البارقة، تتوهج الشمس فيّ، وترفع حروفي ضياءها على قلبي وشفتي، حينها تنفتح أسارير روحي بالأجنحة، والمح الضوء في الباب كما لو كان القمرُ عيني، وكأنه يبتسم لي يسمعني. فلا غاية عندي سوى شيء من ذلك الضوء يتسلّل الى داخلي.

ما ان وضعت أصابع يدي على الباب، واستسلمت لظلها، وأحسست ببرودتها، شعرتُ ان قدميّ هبطتا على الأرض، وجسدي طليق، والأمل يبسط شراعه كما لو كنت في الأحلام.. كانت الراحة النفسية المبهورة قد حلّت محل الخوف والارتباك. نعم، حداني الضوء في كل شيء ومنحني الأمل في زمن المهلة، لم أيأس من كل شيء .

منْ يعملُ معك عليهِ أن يخافَّك !

سيِّدي، أتحدثُ الآن عند عتبة بابك ليس من فجيعة، ولكن ضميري لا يكفّ يلاحقني في الأسئلة، يولّد ضجيجا في راسي، وفي داخلي صحراء من الحزن تسدّ عليّ أبواب الفرح كلّما يمرّ اسمك الراسخ في خلايا عقلي، وأنا اشقّ أمواج عشقي على رحاب مقدسك، بلسان مثقوب وعيون آفلة.

اقسم لك بأنني لا اعلم لِمَ أخافك، ولماذا الأحزان ترافقني باسمك؟ حتى رحيل أمي لم أبكها كبكائي عليك، وان بكيتها فصورتك لا تفارق مخيلتي وقلبي.

سأصغي وأرهف السمع، وأنشر مظلتي لأتقي العيون الحاسدة، وأهيم بروحي حول مدرستك لأعلّمها الإصغاء دائما، لأقوّي ذاكرة النفس الأمّارة بالسوء إلاّ ما رحم ربي حتى تهب لي النور وأشمّ عطر ترابك. أُغذّي به القلب بالضوء كي لا يعُد بي ما يُكسر.

انهالت على راسي الأسئلة وبحثت عن منافذ للتحرّر منها، وقلبي ينزف أمواجا مترادفة بين -فَوْضَيات- حضرتك، وتشدّد عليّ أواصرها تأكيدات الخوف في حضرة الأمان. سأخرج من غيبوبتي حتما ولن أغمض فكرتي، وسأكمل المسير باتجاه عقيدتك، وسأخرج كل حشرات الوهم من أذني، موقناً انه الطريق الأمثل في النجاة، وأبوابك مداخل الجنان.

سأقول لك هذا جسدي تغذّى على أديمك. سيخلص لك، ولا انطق إلا بما علّمتني، واقف تحت نورك حتى أخر عمري، واكتفي بهذا الخلود، لأسجل اعترافات سنين مضت من عمري المتشبث باسمك، واكتفي بالصمت حرصا لذلك التضرع الذي منحتني إياه في كل أزمة واجهتها وحدي، وذلك التوفيق الذي قلّدني إياه لأكون بجوارك، ارسم من دموعي خارطة جديدة للحياة.

وثمة هاجس يناديني بين حين وآخر: العهد الذي قطعته على النفس ساري المفعول في ضميرك، امضِ بقامتك نحو الضريح، واغلق أذنيك عن سماع من يجاهرون في حبهِ، ويرسمون الشكّ بطريق المخلصين، واعلم إن من يعمل معه عليه أن يخاف لان مقدساته خط احمر تحرق المُجاهرين والخائنين ولو بعد حين.

يا منْ تنسجُ حزني عشقاً في ضريحك قدني الى ضيائِك

سيِّدي أنتَ، يا شراعَ كربلاء، يا الارضُ الأعاجيب، يا سهم الإيمان والرجاء. أين أنت ؟ اضئ طريقي، و دعني متكئاً عليك للأبد.

يا من تنسج حزني عشقاً في ضريحك، قدني الى ضيائك واخرجني من بئر الوهم، بلا هموم، بلا شكوك. اختصر التضرع الصاعد الى الشفاه الذاهبة الى القلب كنهر ضوء حلو، يجعل روحي صالحة للحياة.

تضرعاتي ترتد أنيناً.. أسير في ضريحك وأنا أتوسل، وأطوف حول مرقدك وحرارة في قلبي تتأجج.. تتأجج، لان روحي تتوهج كالموقد تحت ظل قبتك. وعذب ترابك كالماء، يطفئني، ويرويني.. يضيئني ويبكيني، كأنني أراك.. فكل رؤية تخرج من نور مقدسك، تحمل معها أبهى أنوار رحمتك، يا للرؤيا المباركة !.

هناك من يفرح حين تبكي كربلاء، يتراقصون حسب أعمارهم حين يتعذب أهلها، وحين أساجله يغلق أحد عينيه، كأنه ينتظر أن تحترق الأرض، ان يموت ويتعذب أحد من نسلك.. عميان! لا يعلمون شيئاً، هم وسط هذا الرياء العالمي، يتآمرون، والحقيقة التي لا شكل لها مختفية في ذاتهم. حائرون فيك يا دوامة العالم! وحيرة القرون!.

اشعر بسلامك في الزائرين، أحس بظلك في أيام محني، ولم أفاجئ من حولي الا في هذا العشق الذي كنت أحفر هوته في قلبي، فكانت جائزتي.

ان ضريحك الآن يحتجزني في رحمتك، بعد أن طهرني من مشاويري القديمة، ما بين أوهام الشباب وأغوارها الموحلة التي انزلقت بها قدمي، ولم يكن معي سوى ضوءك، ينتزعني من اخطائي ويحررني من هذا الزمن اللامرئي مستقبله

في عالم حسود لعالم أحمق.
سيَدي، هذا جنون عشقي اليكَ، لابد من وضعه في ميزان حبي اليك.. فقد قالوا وقولهم حق: من اراد الحياة عليه ان يزورك، ومن أراد الجاه والثروة عليه ان يزورك، ومن اراد الجنة عليه ان يزورك.

جُئتك أحمل جميع أحلامي

سيِّدي، لأن فمي ملؤه، السلام عليك يا سيدي ومولاي، لأن حنجرتي ملؤها تضرعات تحت قبتك.. اني سأتعذب ان لم تسمع صيحة أعماقي؟!. وأعيش حرب الهائمين على وجوههم. شيءٌ بقربك موشك أن يحدث، وأنا واحد من مخاليق ضريحك حائراً.. يراقب مصيره بصمت. أنا لا أصمت بارادتي.. أصمت لأن الألم والوجع والجزع يثقلان عليّ، كي لا يشدو القلب الا اسمك، ولا ينطق اللسان كلمة الا فيك، ولا يسمح للفم الأخرس ان يردد حرفاً الا بمعرفتك المخبوءة بين الضلوع لوعة.

اني أسمع الصخبِ الحياة المخيف، فعبرت المسافات كي لا أضيعك فلا تضيعني يوم الجزاء. ها أنا بين أنوارك أتطهر، وأغتسل بضياء مرقدك، واروي ظمئي من مياه تربتك الهادئة.. فقد جُئتك أحمل جميع أحلامي، تكفيني لمسة خفيفة من زائريك، او نظرة خاطفة من نور ضريحك.. لتنقسم روحي الى اثنين، في جسدين شبيهين في الشكل والتصرف.. صورة من نفسي أمينة ودقيقة، حرة وصادقة.. وصورة منك تختصر فيّ حكمة الحياة طريقاً ليوم رؤيتك.

لم يبق لي الا زيارتك، وما زلت فيها أنادي باسمك.. اسمك الذي اعتاد أن يدل عليك، صاعداً الى سماء الرحمة. والاهم الا افترق عنك لا في الدنيا ولا في الآخرة. أنا لا أراك. أعلم جيداً أنك هنا، في مرقدك، امام وخلف كل زائرٍ، على مسمع منهم اذ نادوك: السلام عليك يا سيدي ومولاي. انهم يسمعون عن بعد سلامك، ويرون من بعيد مقامك، ويتصلون بالله العظيم من عمق ضريحك. وأنا أحمل معي نصيبي من الحياة، فادخل اليك بقلبي، وعيني تتنصت للتضرعات.. وبصوت خافت أتحدث اليك: انا عبدك وابن عبدك، جُئتك أحمل جميع ذنوبي وأحلامي لأضعها تحت رحمة قبتك.

روحي مطمئنةٌ بظلِّكَ

سيِّدي، لم تزلْ روحي وفية، نشوى لرؤيتك، تجوب ضريحك مطمئنة بظلك، تبحث عن نورك يترقرق فيها حتى الموت، بتوسل موجوع في احراق ذنوبي بلمسة رحمتك، اشملني بغطائك، وأشعرني بنورك.

سيَدي، اجعل نسماتك تلامس شغاف قلبي وتمرّ على جبهتي في الصلاة لله عند رأسك الشريف.. هو الشرف العظيم الذي ما زلت أتضرع تحت قبتك من أجلهِ !.. كي يقبلني الله بقبولك.

في يقظة كل هذه الحياة، وكل هذه الأضواء، يبتعد عني كل شيء، يهرب كل شيء مني، الاّك، يا مولاي؛ لأنني أشعر فيك كيف ترشدني بضيائك؟، أحس فيك كيف تكلمني بنورك؟.. من خلال أنفاس توفيقاتك التي تهبط الراحة على الروح كما يهبط الندى على الأزهار.

بضمير طيب: أقسم حين المس بيدي -شباك جدثك المقدس- ان أعمل بقلب خال من الأنا، مخلصا لله وللدين ولك. فما يزال هناك وقت وأنت الضوء. وما زال لدي وقت للإخلاص لك بصدقٍ، وإن تأخرت، سأجريِ بسرعة وامسك خيط النور، فرائحة موتٍ في الغياهب تعومُ حولي بهدوءٍ.

لوّحْ لي بضوءٍ لأطمئنَّ، وقدني إلى شفاعتك يا دليل العافية. اجعلني أركب النور كانسان يبحث عن نفسهِ وسط ضوئك الأعظم. ففي روحي غابة من الخوف والقلق أريد أن أقضي عليهما بالدعاء تحت قبتك، وقد ضمنت ليّ الإجابة.. أشعرني أنك قبلتني، غشيتني بغشاء العافية.

سّمني خطوة تتبرعم تحت ظلالك، وأنت تعلّمني كيف اضبط لساني في حضرتك واقضم صمت آلامي، وأرتّب هجرة رحيلي نظيفا إلى جوارك.. فأنا ما زالت روحي تجوب ضريحك مطمئنة بظلك.

كل فصولك استيقظت في دمي
آه.. يا مسك شباك ضريحك المقدس

سيِّدي، اذكر عن نفسي، إنني لقيت المجد بقربك. عرفت نفسي خيطاً ليناً في نسيج مقدسك.. هنا تصل روحي الى جوارك، ثم تلتفت الى نورك، رأيت حزني بعينين لامعتين، لا ادري بماذا أجيب: هناك اشياء كثيرة أريد ان أنساها. في تلك اللحظة التي كنت فيها تحت قبتك، أجبت بصمتي: لم نعد اليوم كما كناه؛ ليغفر الله لي، بحقك صوت حزنك الخالد..

آه، يا مولاي، كل فصولك الآن استيقظت في دمي.. وبقيت وحيداً أفكر فقط برضاك، برؤياك. فقد مضى العمر والجسد يريد ان يخلص نفسه من الموت بإثم.. آه يا موت الخجل !.

ضوءُك الدائم جعلني لامعاً كأحد ذراته؛ استضيء باللانهاية.. وضريحك كالنهر استقي منه توفيقات لا ينفد سرها، وفي لجته تنبهت، وعرفت نفسي اشبه نبعا خجولا في ظل زائريك، طليقاً فوق مقدسك، لكنني لم أكن بالنسبة لك غير صورة واسم في ذاكرة تربتك، يضيئان في صمت. آه، يا مولاي، لست أدري لماذا تطير روحي بجناح تضرع مجنون تحت قبتك.. انت مولى وكل مولى غال علياً.. يطويه قلبي طياً بجناح الولاء.. فقد قربت ساعة اللقاء.. آه يا خجل اللقاء !.

بينما أنا في حضرتك أراجع نفسي الأمارة بالسوء، يدق في قلبي القلق، فيغلبني بؤسي، تهيج فيّ الذكريات حزاناً على الأمس، يخنقني البكاء، أمضي مع زائريك كتائه يسعى وليس لي مأوى غيرك.. هذا قلبي الذي بين أنوارك لا يخفق الا بضريحك.

آه، يا مولاي، ها أنا عبدك وابن عبدك.. أقبل اليك وما يزال فيّ الامل أن تحل منك الي هدية صغيرة تغمرني بأمل قبولك عليّ.. اسمح لي ان اتضرع عند رأسك الشريف، وأحلم بلحظة اللقاء الغالية.. دع رأسي يتقلب على نفحات مسك شباك جدثك الحي.. فما من شيء اثمن ذلك الاطمئنان... آه، يا مسك شباك ضريحك المقدس.

اسمُكَ يحيي عذابات الضمير في العيون

اسمُكَ يا سيِّدي، صوت لا يهدأ في وجه الظالمين؛ يرتفع متدفقاً كنهر الفرات ليحيي عذابات الضمير في العيون الباغية والمتجرئة، فيطفئ إشعاعات الأمل في النفوس والقلوب السود. اسمُكَ الصوت الهادر في وجه برودة الوجوه الإجرامية، يرتفع كالبحر لِينجب المخلصين، ينام البحر بين أرجلهم، وأنت تبصر دمع الثواكل، وتعبئ سلال الصبر بالصبر، وتعكس بمرايا عقيدتك نوح القلوب المؤمنة، في ملحمة الدماء الزاكية كي لا تنسانا عيون الله في ضريحك.

اسمُكَ صوتنا في ليالي اليأس وفنار الليالي العاصفة، وإليكَ مسافةُ رُؤيا مَا، يعرفها القلب المُغتسل بحنينِ الضريح. نستنطقُ نورك لساعات اليأس والبلاء؛ إشارة منك تهدمُ صعوبة الحياةِ، وخوف الزمنِ الدَّائِر. نحن لا نملكُ غير مسافة ضوء بيضاء ما بين قبتك وجدثك، نجرْجرُ الدُّعاء، وحناجرنا تتهدَّج التوسلات والتضرعات. نقرأ باسم عشقكَ نافذة أمل كي يَمسح الله كل دمعةٍ من عيوننا. فالحمدُ لله تحت قبتك يُزيل الأوجاع والأمراض في زمن التحايا السريعة، والأجواء الملغومة بالفايروسات.. كأنك تقول: لا تقلقوا.. اقرعوا بابي تفتح لكم؛ فكل أبوابي تؤدي الى رحمة الله فاختصروا الطريق.. لا وقت للتكبّر والغرور، لا مكان لصخب النفوس وتقلبات المزاج، فالصلاة والصلوات الدائمة لله، تتحللون بهما الى ترابكم الأول ويصاحبكم بياض أعمالكم كالمسك الى الحفرة، كل الطرق تؤدي اليها.. فاختصروا...

اسمُكَ صوت دائم في النفوس والضمائر، سحر لا يوصف.. منتشر من حولنا كالهواء، والقلوب المتيّمة بك، تحلم ان تعكس صورتك.. والروح تحلم ان تعيش مطمئنة في ظلك، ان تجوب جنة كربلائك؛ إنها الجنة الوحيدة الأكيدة التي ما زالت تشتاق إليها النفوس في كل بقاع الأرض.

أشعرُ أنّني.. أُربكُ ببكائي راحتك

سيِّدي، لا شيءَ أسهل من رؤيةِ الموتِ؛ الناسُ حين يرونه يتوقفون.. يهَلّلون، كَما يُحِبُّ اللهُ أَنْ يُهَلَّل، وكما هو أَهلُهُ. إيمانٌ عميق أعمى بيقين؛ أنهم منذ ميلادهم في أجسادٍ مرتحلة. وأنتَ لن تبارح مكانك البتّة ، وأنا أتألم كي أبقيكَ في قلبي، وحين يعانقني نورك أرتبك، يخيّل اليَّ أن ذراعيك يكسواننى ضياءً، ويمنح قلبي أملاً وتهيئ لي رحمة أستشعرها.. وأبكي من غبطة بالغة، ولكي ألح عليكَ أراني أركع باسطاً إليك يديّ، وأرتمي على سديم ترابك، شرود عظيم، حنين عظيم كامنان فيك. أحس أنني أُربكُ ببكائي راحتك.

لا شيء أسهل من رؤية الحدباء السيّارة تدور كالمغازل الفائرة حول جدثك، والأكتاف التي تحملها لها قلبٌ ينطوي على نفسه وينمو بإرادة الباقي الحيّ، ورُعبْ الموت يرافق الخائفين بين توجّع ووداع، بينما الموتى على نهج الولاية هم أكثر منا سعادة. وأنتَ تمعن موغلاً في قلبي، تبسط ضياءك عليّ.. انفضُ عن جبيني الخوف، مرّ بي وأنشر في عروقي رحمة، وأغرزها في صدري ويدي كنهر جارٍ ذي عطاء لا ينفد باسمك، وهبْ لي الصمت، والماء، والرجاء كي انطلق بكلماتي، وفمي، ودمي لأجل عقيدتك. كل شيء له مذاق الشهد في فمي.. زيارتك، والتضرع تحت قبتك، والوضوء بتربتك، والتشهد، والتهَلّيل، والصلاة.. فهن الملاذ بعد ملاذ عشقك وسيلتي وغايتي حتى مماتي في رحابِ حضرتك.

أنىّ لي أن أتوسل بك، وأنا أرهف سمعي إليك، وأناجيك كأي أعمى أو منَ به مسَ باسمك، ان تستمر أنفاسك فوق أنفاسي، وتعبر أنفاسي فوق توفيقاتك مترعة بالرضا كي تستضيء روحي، ويخضّل جسدي بتراب أرجل مريديك، يَهمَي في عيني لقياك.

باسم الله.. من زارَكَ بيقين المعرفة تطهّر

سيِّدي، جاءَتْ نفسي المفلسة لباب رحمتك.. اقبلني!!أ فما بالُي لا أستضيءُ بك ولا أتقد؟!.. فتهمة عشقك أفْرطُتُّها في معرفتك باليقين، ومسكنها في مسامِ الضمير، والاستقامة في الخطوات، وحيازةِ قلبٍ مؤمنٍ بهيج، والإيمان بضريحك المقدس: هو رداء الطهارة من كل رجس رجيم. فمَشْيتُ في الأثر، أشذبُ لحياتي الباقية نهاراتها في خدمتك. أغزل تضرعاتي بأنفاسي على صمتٍ ورهبةٍ، كي تُلقي بنورك على وجهي.

مَنْ يدلّني اليك وفي قلبي ضَوءٌ؟!.

أقدُّ الروح حلما تحت منائر ضريحك، وهي خاشعة بدموع لا تهادن في الدعاء.. تتوسل بدموع القلب كي تمدّ الشفاعة يديها اليّها، لا تملّ من الانتظار، حتى تلامس الندامة قداس أعمارنا بضياء الرضا والاطمئنان. جسدنا مولاي: غسلّته الدموع والجروح والذنوب، وحدك الآن تطهّره من كل مصائبه، مرتهنٌ بتوبته، وهل للأجساد والأرواح والأنفس ان تتطهرا الا بترابك وضيائك؟!.

فما بالي لا استفيق وأتلو سورة العشق، كي تمنح هذا التعب المزهر حولي، مرايا الله في باب رحمتك الواسعة !..

فأي الأبواب الى جدثك الحي ينبت دمعي فيها، فليس لي غير أن أستغيث بك، اذ ضعت أو توهمت؛ كم تهت واليك المصير..؟، وكنت دليلي، تهدي نفوسي التي ضلّت الى الطريق القويم.. مولاي امسح عني محنة السؤال !.

فروحي ونفسي يلتقطان ضوء كلماتك، وعند شباك جدثك الطاهر أطلق شفرة اعترافاتي بارتجاف وخوفٍ ورهبةٍ، أرسل اليك عبر توسلي أسئلتي بدمعة، برجفة، بحكايات تؤلمني في انتشاء وجودي حولك. منك الضوء ولي فتنة، والصمت بشفاهي مكبّل بالآهات. لحظة صحو الضمير، واغتسال الروح

بنور طهور.
يا صلاتي المباركة.. خذ بذراعي وطيّب أوجاعي المرّة، واغمرني بدفء وجودك.
فقد أدمنت فتح عيني وإغماضها على بهجة النور على سديم مقدسك.. فقد قال الأطهار من نسلك:
باسم الله.. من زار الحسين بيقين المعرفة تطهّر. فقد جاءت نفسي المفلسة لباب رحمتك ... اقبلني مولاي!!.

على تراب ضريحك تنطفئ أعظم الذنوب

سيِّدي، يا أبهى الأئمة، ها أنذا أجيءُ ضريحك السائر في العالمين، لكَ روحي فداء.. لكَ عيناي تحُران الألم، وتنتحبان فيضاً من الدمع. وأسالك مولاي في تضرع اليائسين؟!. كيف أتخلص من ذنبي..؟ ان في داخلي وهما يشبه ذئباً كسيرا يعوي. كيف أتخلص من ذاكرتي، وانا مسكون بها وهي مسكونة بأخطائي.. الذنوب تقتلني، واسمك وحده بعد الله يهيئ لي فكرة الندم، وأنا أحصي الخطى اليكَ، ومنكَ ابدأ وتنتهي عندك مسيرتي.. فعلى ترابك، أكد –الصادق– تنطفئ أعظم الذنوب.

أنِرْ عتمة مفرداتي فيك، هي النور والمفردات إذنْ منك. هي تضرعات على باب رحمتك، بامتداد جروحي نحوك.. وأنا بانتظار قبولي مواليا لك، لاستظل بظلك، وأغمض عينيّ على حروف معرفتك، وأمشي مع زوارك في مروج النبوءات، كتفي بكتفهم، وأتمسك بأسمالهم الطاهرة، وهم يحيوك بصفاء نفوس القديسين: السلام عليك يا باب مغفرة الله العظيمة.

قال صادق القول بمعناه: كل زائرٍ يُقبل لزيارتك تطهره الملائكة بمياه الجنة، وتستقبله بالتهليل والتراتيل. مولاي تنبئ إحساسي كله في ضريحك بخشوعٍ صافٍ إنني أحد زائريك، سارت خطاي مثل خطاهم نحوك.. هناك قرب جدثك وتحت أعالي قبتك أرى الضوء الباهر يخترق قلبي، فاذرف الدموع بلا وعي، وابتهل بصمت وأتجول بصمت.. أتوسم ان تزرع في قلبي هذه الفطرة المكتومة، وترفع عنه هذا التشتيت الذي يضحى بظلالهِ على عيني التي لا تحب ان ترى بعد هذا العمر إلا مرقدك، لأكون قربانا وخادما رقيقاً لفكرك العالي وفكري الخفي.حتى الموت سأكون قرب جدثك اصلي كي تحترق كل ذنوبي، وألوذ بك صامتاً، وانا اشرب من معين مسيرك الأكيد.

لا أطمعُ الاّ في رضاك

سيِّدي، أتقدم ببطء وأعمر نفسي بضيائك، وأجوب بإجلال ضريحك بعينين صافيتين، وابتكر توسلات بصمتٍ لا تشوبه شائبة. هي ذي مآثر ضوئك تترك أثراً على الجبين، نزاهة في اليد، بياضاً على الوجه، نقاء للضمير. لهذه الصفات ما هو مرئي وملموس في التصرفات، نور ينضج في القلب. والنور يرشف النور تحت قبتك يتطهر الجسد، ويتفتح الفكر، ويسمو العقل في كل نظرة لمرقدك. نظرة كما زهرة تحت الشمس تشرق بها نظرة تتفتح الروح حُسْنا في العيون. هنا في ضريحك كان خدامك الاقدمون يستقبلون الخائفين، وهنا اطلق أعظم قول كان ثورة ضد الظالمين، هنا خلق العلقمي والفرات، والماء يفتح جفنيه لعطاشى المرقدين، كأن الماء يتكلم باستمرار ولا يكرر نفسه. ففي ميزان العيون الحقيقية المرئية، لا وزن للأحلام والاوهام، وفي ميزان لسان الواقع وجودك حي ترزق، كسنبلة واحدة هي القمح كلّه، اكتسحت بها كل قلوب العالم واشبعت جائعين، واسقطت امام عتبات ضريحك كل جبار عتيد. ها أنا أقرْ لك بالولاء، والجأ اليك كي القاك، اتوسم شفاعتك، فروحي ماثلة بين شفتي أرممّها من أهوائها، وأهش عن نفسي من شكوكها، وأهيئ جسدي بطهارة ان تمنحهُ فتوة النور قطرات تملأ خلاياهُ نضوجا بالطاعة. ها هنا ما زلت أقف عند بابك بعيون حرقها الامل. أمرُ منها كالفقير الهادي، تتضاعف مسكنتي، اتضرّع بصمت بكل ما يحترق وينخر بقلبي وأنا رقيق ضعيف. لأن الرقة هي التقاء عين مغلقة بعين مفتوحة، كما لو كان النور يأمر العقل الا ينشغل بأقنعة الوجوه ليقول: انت تحت قبة باب الرحمة، ليختبئ عنده ألمك وتأخذ حاجتك. أنها مسألة العرفان بحقه: انهُ يمسك بناصية أعمالنا من وسطها، ككفّتي الميزان.. وأنا يا مولاي لا أطمع الا في رضاك.

يا ضيائيَ الفريد.. أطيرُ إليكَ ملفوفاً بوَرق الضَّوء

سيِّدي، لَمَّا يدوَّي صَوت الخوف، ويَحارُ قلبي؛ خلِّني في ضيائَك الفريد أبصرُ، وحفائي يضيءُ، وعيني لن تَرى غير ضيائك. بردٌ محترم في قمة السعير يُنزِّهني في غرف حائرك، مستظلا بنسيم فواح عطرك في أمان المعاني وريق التطهير. هناك ما هو أميزُ منْ ذلك: يقال لي خادمك؟!.

فخدّامك ملائكة.. فعلتُ ما فعلوا، ورجوتُ الله أن أكون واحداً منهم. تلك محنةُ من لجأ اليك ووقف عند بابك، فيطيل تضرّعه وبكاؤه ليتسعَ غفرانه.

بلا شعور أكتبُ اليكَ من تحت أنوار ضريحك عشقي، ولا يُرْهِبني شيء أكثر مما يُرْهِبني اسمك. فشفرة الحياة تمرُّ على الروح، والجسم يتفكك. هل هناك ما هو ابعدُ من هذا الخوف؟!.

أنا هنا في مقدسك، في ضيافتك، مؤمنٌ مضنون به، لا يبرح مكانه، انسانٌ يطوفُ في قلبه ويتجوّل في روحهِ، ليروي قصة عشق لتتسعَ شفاعته.

ما زلت أمضي عبر منهج عقيدتك مطمئنا، وأتضرّع الى الله أن أخرج من ضريحك بجبين أبيض، ووجه واحد. فلم يبق فيَّ سوى جرحٍ عميق لا يمرّ به غير نور اسمك؛ سأغزل من هذا النور ثوباً وأرتديه للأمان حين يدقّ الخوف باطن القلب. وهل هناك أأمن من ضريحك اذا جاء الخوف الأكبر؟!.

ففي لحظة، مثل هذي، سيورق نور الولاء، ويسكن الايمان في القلب، والروح اطمأنت، وقرتْ، والنفس تصنع شهد صبرها. واللسان يلهج: انت النعيم مولاي ولا أحتاج غير فمٍ يهذي بمعرفتك. انت مولاي تعويذتي وحرزي ومعتمدي مفتاح أمان كل خوف عصي يخترقني.

يا ضيائيَ الفريد، ما دام النفس فيّ والروح تسكن دمي سأظل أطيرُ اليكَ ملفوفاً بوَرقِ الضَّوء...

في زيارتِك أسمعُ صوتاً يضئ بصيرتي

سيِّدي، لو أن الصوت تدركه العيون؛ كم وددت ان أراك!، فيشع صميم حياتي بالنور، ويملأ أيامي صورة من نفسي، أستشرفها من صورة منك. معناه أن نخرج من الوهم ونتعلم الصبر بصوت خافت أتحدث اليكَ: هل تسمعني في تضرعي بغبش الفجر قرب جدثك؟!، ابدو وكأني في يوم الحشر، تتطلع عيناي نحو السماء، كأنني أسمع صوت الملائكة التي ترعد بالتسبيح لله في فضاء قبتك، ووجوه حول ضريحك تضيء، تزداد بك قرباً.. أتواتيني الجرأة قرب شباكك الطاهر ان أقول أني أسمع صوتاً!؟، أتكون لدي القدرة بعد الضراعة، والتمسكن والتوسل، ان أحصل على اللحظة التي طالما تمنيتها؟. مع أني بكيت وصليت.. بكيت وصمت، مع أني رأيت رأسي يصغر ليصبح كحبة حمص، وجسدي أصغر من حبة رز. ورأيت لحظة صغري وتصغيري وهي تومض وتخبو امام عظمة مقامك. أنا ما قلت هذا القول بلا هدف، بل هو اقلاق المتشككين بقدرتك، ولا حاولت أن أكذب في حضرتك. فالكاذب يفقد جمال الروح، ويسمع صوت الرعب، فيهرب طوعاً من تحت جناح نورك. وقد ضيع بصره وشمه وذوقه ولمسه.. فكيف السبيل له ان يزداد قرباً منك، وينال شفاعتك؟!. صوتكَ أيقظني من غفوتي، والقلب انتفض بمحاذاة جدثك، مُمتناً لتراب أقدام زائريك وهي تُغسل روحي من أدْرَانَها، فأثبت عند رأسك الشريف، وأرسل اليك عبر تضرعاتي أسئلتي بدمعة، برجفة، بحكاية تؤلمني بانتشاء وجودي حولك. أنثرْ عليَّ ضياءكَ لأسْمعكْ في ضريحكَ، فأنا متعب لا ضعِيف – حزين لا مُستسلِمَ، وأغزلُ الدموعَ، وأصْبغها بلون النواح، ولا ينْقُصني غيرُ الإحساس بطيب زيارتك. جنة حقة؛ ففي زيارتك أسمع صوت يضئ كياني، وبصيرتي.. فأنثرْ عليَّ ضياءكَ لأسْمعكْ.

آتي اليكَ بكلِّ هذا الألم

سيِّدي، سأظلُّ أخاطبُك كل يوم بكل هذا الألم، كالكتاب المفتوح لا أخفي عليك شيئاً وأنت تزهر عليّ التراب، وتثبت فيافي روحي بثوب الامل، وتحشرني مع الصدور البيض. هو شعور بالرضا!، أرتق به بقايا عمري من غبار يتسلّق روحي في لحظات الغرور.. فكلّما رأيتُ مغترّا جريحاً تحسسّتُ غروري المكسور، وقصدت ضريحك وتحولت الى ما هو أبهى ما تتنفس به النفس، سعادة لا تصدّق قرب جدثك، ويطيبُ لي أن أقبّل عتبة ضريحك، فأشمّ رائحة مرقدك يخفّ كثيرا وجعي، أنسى لحظات ألمي.. منتظراً أن تراني يوماً فأضمن جنتك. دعني أسمعك في تضرعاتي عن الندم، وأنا آتي اليكَ بكل هذا الألم. ادن منك لأقول كم كنت بعيداً عنك، وأنا أتفيّأ بفضلك.. فتّشتَ في ضعفي عن نور ليس أنت فيه، فما وجدت سوى نورك في عيني، وما زلتُ على ذلك النور، وما زلتُ أدعك أكفّيّ بشباك جدثك، فتغشى نفسي اطمئنانية، فأردت منكَ ما في صدري من جروح وألم!. وكلُّ خلية في دماغي تسألني عنك، فيضيء عقلي بمعرفتك، أبتكر فيه طرائقا لتكون أول وأخر طيبي أنتَ. آتي اليكَ بكل هذا الألم. فكم من الحروف ارتّب بها كلماتي كي أراك فأشفى؟!، وكم أريد من العيون كي أراك فأسعد؟!، وكم أحتاج من الدموع لأنحت صبراً لرضاك؟!. أتساءل مّرات وحيناً متى يأذن لي بالحبور، ويملأ روحي بالنور، وافقع عين من يقول ورائي ان الكتابة ليست نورا ؟!.وأنا عبدك قد مسّني الضّرُ، وآثرتُ أن أتشبَّثَ باسمك في شدةِ الوجع والجزع، وأنا أحمل بين يدي كفني في زمن الاشباح الجرثومية التي تقتل في الظل بلا عنوان. لهذا يخطّ قلمي ألمي، وأدوّنه تحت قبتك، وأمام جدثك الطاهر، كي أرحل الى العظيم مثقلا بشفاعتك. وقف الموت على قلبي فعلّمني الحياء...

أتشفعُ لي لِيغفرَ الله لي ؟

سيِّدي، أنا أحب هذه الأيام باحتفاءٍ وهي تغسل روحي من أدرانها، وتطهّر نفسي من ذنوبها، فقد غفلت عن قلبي بعيداً عنك فسرقوه مني هناك، وفقدت راحة البال عبر المعاصي، لم أعد اشعر بقلبي. جئت اليك حاملا ندمي؛ لا أحد سواك غير لائم لي. ترى أتسيء أليّ وأنا ضيفك وأنت الكريم..؟! باستطاعتك أن تفعل هذا الأمر أو ذاك وأنا عبدك الغافل عنك، لكنني انطرحت كالنادم بضريحك. في جَنةٍ أقامها الله من أجل قبول شفاعتك» يا وجيهاً عند الله أشفع لي عند الله». واعطني من ترابك الشافي ما يجعلني طاهراً، وأزحْ أفعالي الذميمة بالعفو الوضيء؛ ممّنْ قبلتهم زائرين، وعفّرتهم بالأتربةِ الموسومة بنور مرقدك، وأشربتهم الحكمة والخبرة شرابا عذبا لا ينطفئ ظمأً. أنا في الشهر الأصب؛ ضعيف هو تضرعي لكن لي إرادةً لا تلين، وقلب يُحسُّ بالحزن والندم، وعيناي تتوسلان بك، تسألان الله المغفرة بعبراتٍ خانقةٍ في أعماقي.. فأسمع صوتك يلامس رأسي كملامسة النور للعيون، كم هي جميلة هذه المعانقة.. كأنك تهمس لي بوضوح: أنا إمامك، أميرك، سيدك، وليّ أمرك، كن وفياً في طاعتك..؟ أكن لك حبيبا وصديقا وفيّا.؟. زاد شوقي أن تمنحني ثقتك. هل تشفع لي لِيغفر الله ليّ في شهر رجب الأصب. آه.. أية سعادة في قلبي بضريحك، أتراني انتظر ساعة الموت بجوارك..؟ وتلك الأخرى توسل بك في هذه الأيام التي يدّرُ بها الخير دّرْ .. يطيب لي، بعد شفاعتك ورضاك ان أدفن قرب جدثك. أية فرحة أن يتيقن القلب أننا سنلتقي قريباً وأراك في أبهى صورك.. شعورٌ يراودني في ممشى حائرك بين زائريك في قلب ضريحك عند ملامسة شباك جدثك.. وفؤادي المطمئن يسمع نبأ خفيا أنك حي، وأنك حولنا. لم يجرؤ أحد على رؤياك إلا أن تمنحه شفاعتك.. أتشفع لي يا حي لِيغفر الله لي فأراك؟.

أحتاجُ الى صلاة شكر لله بحضرتك

منذُ كنتُ صغيرا أركض نحوك ملهوفاً. أشعرُ أنك ترسل في طلبي كلما خنقتني عَبرة، أو جرفتني سيول المعاصي. فتحررني منها بدمعة ندم، وتلبسني ثوب التوبة، فيشرق وجهي قرب جدثك ضياءً. وبين أن أتلو آيتي أحسُ أنك تقول لي : لا تحزن خذ من تراب أقدام الموالين وامسح به جبينك فسيثبت الله الضياء بوجهك.

فاجأتني عطاياكَ سيدي، بعد أن استَباح الأقربون والخَليّون حياتي وجعلوها رخيصة، فكان ندى نورك ينتشلني، ويشدَّني ويُغسل روحي بسرورٍ مُضيء؛ حيثُ باب البهاء والرضا والقناعة تومئ جميعها الي أن أدخل. سرَّني أن ادفن في أثلامك عميقة الظلال، فمنذ صغري والألم في فمي صراخ والفرح في قلبي سكون، متأرجحا بين غايات النفس وفتنتِها؛ وصارَ الصبرُ صديقي. الآن ركبت موجة النور، فخذني إلى ما تُريد أو خذني تضرعا في الثغر، فعطاياك المثمرة أخرجتني من عالم الوهم كما أخرجتني من بين أنفاس موتى كثيرين طوقوا أنفاسي في غفلةٍ من قلبي وسمعي وبصري.. فآن لي أن أتعلم من جديد لغة الصبر، وان لا أرى سواك، ولا اذكر غير اسمك.

أيها الضياء، الظلُّ ظلك، وأوجاعي تفاقمت ولا طاقة لي على تحملها، اركض باتجاهك بقوة إيماني بك، تصدمني دوائر مقفلة، بيدي القلمُ صادقا كقوس شجاع، ولا أعلم كيف تنغرسُ في قلبي سهامي؟!..وارجعُ أركض خلف ظلّي مؤتزراً بصلاتي، قليلا فتوقظني النفس اللوامة، أنهض واقفا من تلقاء نفسي، احتاج إلى صلاة شكرٍ لله بحضرتك. فما زلتُ أمدُ يدي مستغيثاً ولا أحد يسمعني غيرك...!

اسكُبْ ضياءَكَ شفاءً في دمي

سيِّدي، نقفُ على أبوابِك بعيون حرقها الأمل. نمرُ بمهارة كالفقراء الهاذين، تتضاعف مسكنتنا، نتضرع بصمت بكل ما يحترق وينخر في قلوبنا، لأن الرقة التقاء عين مغلقة بعينٍ مفتوحة، أو الإحساسي بتقبل خطواتنا المترددة لمن يضلّ طريقه، كما لو كان النور يأمر العقل إلا ينشغل بأقنعة الوجوه ليقول: أنت تحت قبة الرحمة، أنت في حضرة الوجيه عند الله. ليختبئ عنده ألمك وتأخذ حاجتك. إنها مسألة العرفان بحقه نقف عند أعتابك الطاهرة بقلوب يسكنها الوجع والروح تئن.. نتوسل بك إلى الله أن تقف بجانبنا، تنظرنا، واجعلنا نغفر للمذنبين إلينا مواربِين ، ونجنا من كل شرورهم. انهم يريدون ان ينتزعوا ذواتنا الخالصة لوجهك الكريم في عمق ضيائك، بعد ان هاجرها ماضي الضالين، وهيهات أن يرجع..مكانك الطاهر كالنور مهّد لنا طريق الهداية من ذا الذي يهددنا..؟ لم نعد نشعر بالأيام في حضرتك، وتظل الحياة بجوارك كلها لحظة نتأمل يوما نسمع صوتك، فأنت الوجيه المجاب لدعوة من لاذ بترابك. ننتظر إشارة الرضا تخرج من نور ضريحك، تحمل معها أبهى أنوار ظلك الدائم بأمل نفوسنا وأرواحنا الهائمة حولك.. نقف أمامك دائما ونحن لا نراك حتما.. نعلم حد اليقين انك هنا في كل مكان على مسمع منا خلال التضرع والنحيب. فأرضك كالنور وسماؤك كالأرض.. العالم بكل لغاته وشرائعه يفكر ويتفكر معنا فيك. يرافقون عن كثب أحداث كربلاء كمستقبل للحياة الأبدية المخلدة وهي ممهورة في جبين الموالين.. ونقف تحت فضاءات قدسيتك حتى يأتي النور فوق النور ابيض. ويتزايد ضياؤكَ في شفاء كل الوجوه، وبابك مفتوح عمن يبحث عن هذا الضوء؟!. مبارك لمن يسقط عليه ضوء الضريح، فلا حزن بعده ولا خوف من يقين (الموت).

أقبلْ عليّ بنورك .. لأعرف أنّك قربي وأنّك فيّ

سيِّدي، في باحاتِ فضاءاتك، أقرأُ وأسمعُ دمك يتلو بصيرته وحكمته عليّ، يعترِيني خوفاً خفياً يشرق فيّ، فأرحل بقلبي فيكَ، وتتوهج روحي عشقاً، وأنضج لغة يهدّج نورها باسمك؛ فأشعر أن ضياءك جُرّي كُلّه نحوي؛ فضجّت به النفسُ ملهمةً، تعلي به زهوها، ومن يومي لم أكفَّ عن النشر في أحرارك. أقبل عليّ بنورك.. لأعرف أنّك قربي وأنّك فيّ. ما كان في القلبِ غيرُكَ حين فَتّحتُ عيني على كربلائك، أجمّعُ ملهوفاً قصائد طفكَ، حفظتها وحبستُها في لبِّ قلبي، ونقشتُ حروفها في نَسيجِ دمي، كلما نسيتُ أيقظتني فأتوهج أكثر بمعرفتك، وأنهشُ التضرعات بالقراءة، وأتوسدُ مفاتيح الجنان.. فينبتُ على جبيني ضياء الصالحين، وأغرق في الباقيات الصالحات كي أختصر الارضَ برضا الله عليّ، بشفاعتك. مثل الضوء مددتُ اليك يدي، وحلمتُ أني طرقتُ أبواب رحمتك، مشيت وحيداً الى جدثك، وقلبي طريد الذنوب.. بلا وجل ارتفعت خادماً؛ وبي وجل فائض بالتوفيقات القلبية، حتى أصبحت أراقب لغة الشفاعة تحاورني، تتشابك.. تتباعد ومن ثم تفتح لي باباً جديداً لخدمتك، فأبحث عن قيمة اللغة العليا في حضرتك، فأتقيأُ المعاصي، وتتوهج الفكرة في الرأس وأتجلّى بخزين قصائد طفك، التي علمتني عليها منابر مجالسك؛ هي لغة أجدد بها عهدي وولائي وانتمائي، لأكونَ عبدك وابن عبدك ينتمي لثباتك. ما زلت أجلس على أعتاب أبوابك، خالياً من كل أحلامي ورغباتي وطموحاتي، أنتظر أن يقبل عليّ ضياؤك. أنا جادٌ في رضاك، ليس تبريراً لأفعالي السابقة أو لبلاهتي المعهودة.. هدفي أن أصبح مخلصاً أكثر في طاعتك وخدمتك.. باليقين أناديكَ: وحدكَ تسترني من قصْدي بسَهْوي!.. فالموت على ترابِ مقدساتك أكثر صدقاً من الذي يموت بعيدا عن معرفتك.

انثْ فيَّ هذا الظمأ الذي ذوب حروفي.. في محبتك

سَيِّدي، هدّئ فيَّ وجع هذا الظمأ الى ضريحك.. كنت أكابده، وفؤادي يذرف عَبرات.. اذ يأتي اليه نداء الزيارة الملحاح، وتحكم ارادتي لزام زيارتك، فاذرف عَبرة هوى أبصرها في داخلي حرف أثر حرف.. اطفئ بها شوقي فتذوب كلماتي على لساني، فتنساب الى شَهد الكتابةِ وأشم عطر جدثك الطيب كالمسك. أحسها تضمّخ فكري بنورك وسلامك، ويتضمّخ جسدي بعطر ترابك، وتستضيء روحي، وتخضّل نفسي كلما أمسكت يدي مرقدك.

أنثْ فيّ هذه التضرعات التي تُزهر زيارتي، وأنا أتنسّم عبرات المناداة قد حفّت بضريحك. اجعل أياديك الرحيمة تفيض عليّ بأقدارٍ خفية فأبدو بها وكأني مزدان بخاتم رضاك. وأبعد عني أيادي خفية كأنها مدية لا تُرى مفتعلة أو قوية لا هم لها الا مصلحتها.. وهي تعج بأزاهير رغبة التسلط والانا، سافرة، ورعة متشحة بأرواح لا صلة لها بمقدسك.

أرهف فيّ سمعي، وأنا أناجيك كأي أعمى أو منَ به خوف من أسارير نفسه وهو فوق ثراك يمسك أبوابك، ويلثم ثغره شباكك. أنىّ لي أن أنال رضاك وبناني مخلوطة بالأوهام والمعاصي.. وأنا في خدمتك.

شُدّ الإِزْرُ، وخذ بيديَّ ليعلمَ بهنائي من يجوز السهل في حروفي بحقك.. أن يُسكت أصواتهم الخفية كامن في توفيقاتي منك.. لا من غبار وسوستهم وعُتمة نفوسهم. مؤمن حق الايمان ان ملائكة الحضرة ستتولاني ان هتفت باسمك.. وأنا أغضّ حياء من عيني من صوتي الواهن، من ركبتيّ اذ بركتا من خجل أمام مشهدك. دع فيّ عشقك ينمو ويسمو تحت قبتك، فكل شيء فيّ له مذاق الدمع في فمي.. الخبز الذي آكله في حضرتك، وزيارتك، الصلاة في محرابك. كل ما فيّ صلاة، اردد أسم الله الذي سينجيني من غدر الحياة ونار الأخرة باسمك.

ألأنِي أكبر فيك.. فآليتُ على نفسي أن لا أعرف سواك

ألأنِي أكبرُ فيك، فآليتُ على نفسي أن لا أعرف سواك؛ مؤمناً أن الموت في حضرتك هدايا ونذور، حيث أنك قبلتني في ضريحك، أفتَشُ عن منبع الضوء، عن أمسي الضائع، لعلّ شذى منك يهذّبَني، يغلّفني كالضوء. ألأنِي لا املك من كل الدنيا إلا فسحة حلم هنا بجوارك..

فمَنْ يدّلني وفي قلبي عطش إليك؟!.. من يمسح عني محنة السؤال !، وروحي ونفسي يلتقطان نور كلماتك، وعند شباك جدثك أطلق شفرة اعترافاتي بارتجافٍ، وخوفٍ ورهبةٍ، أرسل إليك عبر تضرعاتي أسئلتي دمعة، رجفة، حكاية تؤلمني في انتشاء وجودي حولك، منك الضوء ولي فتنة، والصمت بشفاهي مكبّل بالآهات.

ألأنِي أحكمتْ وثاقي متجهاً نحْوَ الأعْلى، مكتمل البساطة والدهشة، متكئاً على ما هو كل خاص فيك، متيقناً ان الصلاة في عمق ضريحك تغسل الروح من أمراضها وتشفيها من غرورها تطهرها من أدرانها. فالروح وحدها قادرة على ان تتحسس روحك حولها، فأشعر أنك تسمعني، فأطمئن بأنك غير بعيد مني، وفي كل خطواتي هناك ضوء ينير ظلام طريقي ويرشدني إليك، تمتلكني الرهبة والفزع.

مرة أتعثر فأغطّي كوابيس روحي بالأنين، وأخرى تملؤني بالسعادة، وأتيّقن أن النور نورك يهديني الى طريقك القويم، وينتزع آلامي من متن الحياة، ويمنحني هامشاً في حضرته، وهامشاً في كتاباتي، ويأخذ بيدي، ويغِثني حين يتشظّى كياني وأغرق بالوهم.

هذا انبهاري بعظمتك الذي أحييه بذاكرة بجلتها المساءات بقربك.. بعيونٍ

تصرخ فيك مشتاقة أن تزورك ان تجيء إلى حضرتك تتنفس عبق الأمان، وتزهد من الدنيا بما ترتئي الروح والنفس. ألأنِي محض أمنية أن اصبح نقطة ضوءٍ من مراياك، أو ذرة تراب عند عتبات أبوابك تزهر يوماً لو مسّتها أقدام المنتظر وزائريك، أو تقبلني خادماً الثم كل ما حول الضريح لحمل لقب – حسيني– ليكون قدري، وجهي، بيتي، جنتي. ويشار اليّ بالاستقامة والنزاهة والشرف في كل خطواتي، فحيازة اللقب –سيد الأسماء– مرسوم على الجبين وفي حدقات العيون كالصلاة الحزينة التي تمتلئ بها عزاً.

الوجيهُ لا يُرجع زائره المحتاج للضوء

وأنا أقفُ أمامكَ، واتقدمُ نحوك ، كأن قدمّي ليستا على الارض، اقسم لك بأنني الأحزان ترافقني باسمك ؟ انها ارتباك او ذهول او كلاهما معا، وقتها اتجرّد تحت فضاءاتك من كل غاياتي، فلا غاية عندي سوى ان اتلمسّ منك إضمامة ضوء تبلغ افئدتي، ايّةُ اشارةٍ موكولة منك تمنحني الاطمئنان من ارتباكي وذهولي. ومضة منك سرت وشفت حروقا في قلبي اعلم بها ولا اعلم ورسمت طريقي لآتي بأهداب الجفون وذرف العيون ومسلاّت التأمل، واجلس بثوب النقاء في رحابك وأتجلّى فيك.. أعرفك سيدي وجيها عند الله، والوجيه لا يُرجع زائره المحتاج للضوء خائبا. ها أنا أمضي على نورك، متصلا كجرح بك اسمع انينهُ ولا اراه . أتلمسّ التوفيق اليسير ينعكس في انفاسي. أقول: صباح الخير لك وأنا ابتسم ، والأمل يحيطني في كل شيء، ولم ايأس من أي شيء، دمعةٌ فزّت بها بحضرتك، وتوقّف عندي كل شيء، وتبقى كل ما قلته عن نفسي أمامك وأنا ذليل وقد رفعت رأسي باسمك فلا أهاب أصابع كل البغاة وأن نجحوا بوضع الملح على الجرح. ايها الحبيب يا فضيلتي المرئية في الحياة، يا قانون سمائي أقسمت باسمك أن اترك كل امنياتي وأحلامي الدنيوية خارج الروح والجسد والنفس، وأواصل جهاد غاياتي كي يضمّني الضوء، وأفوز بنظرة شفاعة تنقلني الى مصافّ من تحبهم. الهي كان إبداعك فيّ معجزا وسر الروح أعجز، وأسرار الاعجاز كلها صبّت ألمها انهرا متدفقة بلا توقف في كربلاء ولا تستعير الفرح الا لتكمل حزنها في عمق غور القلب لا يعلمها إلا أنت فكان الشهيد معجزة الكون والدين، الحي الوجيه. نهضت نفسي الخائفة من سواكنها وهي تحرق خلايا الروح تناشد الخوف في مدينة الحزن فكل الشواهد تعلن ضوء وجودك والأمل يثبتني بأسباب ومسببات...

اَلَيْكَ الْتَجَأَنا..لا تَسْحَبْ شفاعتك عنْا

سيِّدي، اَلَيْكَ الْتَجَأَنا.. لا تَسْحَبْ شفاعتك عنْا، انَّهَا ثَمَرةُ أوجاعِنا، وعليك عَلَّقْنَا أمالنا كُلَّهُا، واليك الآنَ نلوذ ونَمْشي، آمِلِينَ أنْ لا نَكُون بعيدين عنك، وعنْ منْ أجلِ أرْواحنا حدثُونا في ضريحكَ تغْسِلُ قلوبنا أدْرَانَها متعبةٌ لا ضعِيفة حزينةٌ لا مُستسلِمَةٌ، لمْ نشُمَّ غيرَ عطرِ النبوة، ونحن على الاحْتراسِ أن لا نخطئ في حضرتك، ونطيل الترَقُبَ بلا هوادةٍ، على عتَبةِ جَدْثكَ، فنغزلُ الدموعَ، ونُصْبغها بلون النواح، ولا ينْقُصنا غيرُ الاحساس بطيب الشفاعة.نحن في حضرتك طيورممتلئة بالامانِ، مرآتك للحرية، صوتك في الحقِ، نورك الذي يمهد طريق العدالة، حتى كبرُنا بك، وكسرنا كل الشكوك التي تملأ الروح، وتباهَينا بعطر ضريحك، وضوءهُ اتخذناهُ وشمٌ ينسخُ في العُيونِ والعُقول، وايدينا تحمل حزمةٌ من الادعيةِ مبتلةٍ بالدموع، كان هذا هو الدرس الذي تعلمناهُ من طفك الدامي الاول، وباقي الطفوف توالت علينا، لم تخنْا بصيرتنا، تحدينا جبابرة الارض، وكنا نعلم ان عاقبة دمك الطاهر انتصار لدين الله وسنة رسوله العظيم، وهدية صبرنا تتويجنا بتاج الشفاعة. أَيُّهَا الشهيد، قلت:«صبرنا على ما نعلم، وصبروا على ما لا يعلمون».وانت أَيُّهَا «الوتر الموتور» مرآة حياتنا وطريق النجاة، تعلمنا من سِيرك الصبر، فَبعُدْ عنا وهمْ هذا الزمان الذي يمجد ويبارك الظالمين،ويدثرالصالحين، ويستنطق الصامتين فيتماسكون فيقرأون مدائحهم بين الضحية والظالم، أخطاءنا في اخطاء غيرنا فلا تؤاخذنا عليها، اننا لا نعلم كما تعلم، وصبرنا بالتقية على ما نعلم وهذا اضعف الايمان. فبين طفك وكربلاء مسافةٌ ضوئيةٌ، تبلَّجتْ في نورها الرحمة والانسانية والدين القيم، والكرامات الالهية، وامَّحت الاجبابرة، وتباهى المؤمنون بالاضْرحةِ المقدسة، لا يعرفون نورا غيرها، ينتظرون القوة الاكثر ضوءا هي قوة الشفاعة.

اليك في هذه الليالي الالهية اتضرع وأتوسل

سيِّدي، فاجأتني عطاياكَ، بعد ان استَباح الاقربون والخَليّون حياتي وجعلوها رخيصة، فكان ندى ضوئك ينتشلني ويشدَّني ويُغسل رورحي بسرورٍ مُضيء حيثُ باب البهاء والرضا والقناعة.

سرَّني ان ادفن في أثلامك العميقة الظلال، فمنذ صغري والالم في فمي صراخ والفرح في قلبي سكون، متأرجحا بين غايات النفس وفتنتِها..وصارَ الصبرُ صديقي.

الآن ركبت موجة الضياء فخذني الى ما تُريد او خذني تضرعا في الثغر، فعطاياك المثمرة اخرجتني من عالم الوهم كما اخرجتني من بين انفاس موتى كثيرون طوقوا انفاسي في غفلةٍ من قلبي وسمعي وبصري..فآن لي أن اتعلم من جديد لغة الصبر، وان لا ارى سواك، ولا اذكر غير اسمك.

عند اعتاب بابك أحسُ بالفزع وفي قلبي نحيب، تسمعني من على بعد وصوتي لا يبلغك، اشعرك أسمع وقع خطواتك في هذه الليالي الالهية، ما زال بي حس، أحاول أن ابصر، ولا أراه..

ملائكة بشرية كامواج النور تدور تُغسل النفوس من براثينها وتُبلل الروح بعطر الولاية، وثبات يظلُ في القلوب حتى تصطفيهم في ليلة نزول النور مؤمنون.

شعرت بزهو الروح وحلاوة النفس، ورتبت عطاياك في القلب.. فانت معي دائما وان لم نلْتقِ..

ضّريحُكَ نهري.. رفعتُ لهُ أكُفَّي رايةً وصوتاً

سَيِّديّ، فتحتَ عيناي على ضريحك، ومن روحي اتخذتُ رفيقاً اليك حتى أغرق ضوءُك وجهي، وأمتلأ قلبي بالنور. بعد أن كنتُ أعمى وحيدا لا دليل لي، قادني مع جسدي، والصوت يرافق رأسي: هذا هو نبع أصلك لا تبتئسْ!. خذ بيمينك زيارة وارث وقرأ بشغف القلب -عاشوراء - وأستهدِ بها، ومن ثم عانق جدثي، وأطلب حاجتك..!.

وأنا في صحوة الصوت، شممت في ضريحك هواء نادرا تمتلئ به الحواس بأريج طيب لا تريد الانفصال عن مقدسك.. فحملته سّجادة ولبست ضوءك ثوباً، وصنعت من تربتك مسبحة.. أحتمي بذكرك بها من غَفلة المغفلين في ضريحك، وهي ممهورةٌ باسمك على صدري، تمسح عنه جمرة الالم، وتمدّ الى القلب ثباتاً يتبارى على ساحةِ الضريح ايهما أنقى عملا في خدمتك..!.

وأنا في خدمتك، هبطَ وحي الكلمات عليّ من حول ضريحك.. ثبت خُطواتي، وعلى وجهي لغةَ تربتك تبكيني، ووجعي تحت قبتك يعدّ موعدا لموتي كي أراك كنجمة صبح وأشمك كعاشق لتراب مقدسك، وأخبرك عن الانسانية المقنعة باسمك، كيف تكرر حروبها جهرا على وطني وعلى مرقدك..؟!.

وأنا في حالة ترميم أسوار عقلي الفوضوي الضائع مني في شدة الوجوم على بلدي وضريحك، استفسر عن الطيبين، وعن صناع الحياة والدين، عن أثر صمام الامان لكل العالمين. بدأت أحوم في البحث وحيدا منفردا مع عقلي، فوجد الخيانة في كل ركن، والدم يلطّخ صفحات التاريخ بجهامةِ الكلمات التي تعري قناع وجوه اصحابها الحجري. والطريق ما زال موحشا أمام الطيبين..!.

وأنا أدون ضياع مراكبي، أمنت أن ضريحك هو نهري الوحيد.. رفعت لهُ أكفَّي رايةً وصوتاً وتضرعاً.. وأنا فيه مستمر في انتظاري وراء أضواء مرقدك..

تحت قبتك ... لا يحضر إلا التضرع والحاجات الصامتة

سيِّدي، وأنا أترقب خطواتك وعيناي في الاغماضة تنهض وتحلم بنورك يزيح السهاد عنها، كانت زائرتي زهرة الكون تقرأ براسي سور الشفاء من أوهام الكلام، وتدعوني ان أكون مخلصا لك ما بقي من الحياة. تمنحني القوة في كل صوت يجتاح روحي وعقلي. قالت: كرر بصمت اسمه بلا توقف، انه سيد الكونين، وشهيد العبَرة والعبِرة، وقربان البقاء وجوهر الاسلام...

قلت بصمت: من أيام عمري الاولى هو وحده أحسه حقيقيا في وجودي، لكثرة ما كررت اسمه صامتاً، تحسستهُ يخترقَ كل حنايا جسدي من بصري وسمعي حتى ألفت اذني اسمهُ وهو على خطوات مني. أرهُ في كل مكان في قلبِ الاشياء في العيون في الوجود في ثرثرة الاصوات في ضجيج الشوارع، أسمعه يقول :

تعال مد يدك ... كي امد اليك يدي؟!..

تعال وزيل الجدار القائم بيننا... كي أزيل عنك الظمأ الكبير والقلق والخيبات والعّلل؟!..

تعال وامسك أبواب ضريحي، وضع رأسك على شباك جدثي وأشرح آهات صدرك قبل ان يزرع اليأس جرحه في نفسك، واكتب على رمال البحر كل ما هو مؤلم وأكتب بوضوح أسماء كل السيئين في حياتك، وأحفر على الحجر أسماء كل من ملكوك القلب بحب، فالبحر كفيل أن يمحْ ما كتبَ على الرمالِ، والحجر سيحفظ كل المعروف كي لا تنسى. يأتي الصوت مرة أخرى يأمرنني ان اتبع سببا، وتتسارع اللحظات ويقترب ليزيل ثقل الهم الرابض والجاثم على صدري بصمت، حتى تبدل كل شيء حولي. وما زال الصوت يلاحقني، اجتاح كآبتي وحزني ودفعني في طريق العشق لتبدأ روحي بالمغامرة للحصول

على بطاقة رضا، وعنوان لوفي، وسيماء لصادق، وحلاوة لمؤمن، وجمال الايمان فاندفعت الى الحياة بشجاعة، وإصرار وبمنطق جديد، مفحم بالثورة على نفسي والتمرد على كل ما هو قبيح فيها، واستدل الستار على كل اصدقاء السوء بالكلام او الفعل.

وما زلت اتبع الصوت الصامت بصمت، وأشعل نار الحياة في يبّاسِ عمري، فأحرقت عند اعتابهِ المقدسة كل الماضي، واخترقت مسافات بعيدة المدى، ما كان يحلم بها حتى خيالي. ونفضت الغبار عن احلامي فأنعشها، وانطلقت في فضاءات مملكتهِ وجوداً حياً، ووشحت بثوب الواقع، لتبقى روحي ساكنة في رحاب قدسيته، وبدأت احلم من جديد وانتظر رؤيته بصمت...

أمدُّ يدي مستغيثاً ولا أحد يسمعني غيرك

سيِّدي، منذُ كنتُ صغيرا أركض نحوك ملهوفاً. أشعر أنك ترسل في طلبي كلما خنقتني عَبرة، أو جرفتني سيول المعاصي. فتحررني منها بدمعة ندم، وتلبسني ثوب التوبة، فيشرق وجهي قرب جدثك ضياءً. وبين أن أتلو آيتي أحسُّ أنك تقول لي : لا تحزن خذ من تراب اقدام الموالين وامسح به جبينك فسيثّبت الله الضياء بوجهك.

فاجأتني عطاياكَ بعد ان استَباح الاقربون والخَليّون حياتي وجعلوها رخيصة، فكان ندى نورك ينتشلني، ويشدَّني ويُغسل روحي بسرورٍ مُضيء؛ حيثُ باب البهاء والرضا والقناعة يؤمّن لي أن أدخل. سرَّني ان ادفن في أثلامك العميقة الظلال، فمنذ صغري والالم في فمي صراخ والفرح في قلبي سكون، متأرجحا بين غايات النفس وفتنِتِها؛ وصارَ الصبرُ صديقي. الآن ركبت موجة النور، فخذني الى ما تُريد او خذني تضرعا في الثغر، فعطاياك المثمرة اخرجتني من عالم الوهم كما اخرجتني من بين انفاس موتى كثيرون طوّقوا انفاسي في غفلةٍ من قلبي وسمعي وبصري..فآن لي أن اتعلم من جديد لغة الصبر، وان لا ارى سواك، ولا اذكر غير اسمك.

أيها الضياء، الظلُّ ظلك، وأوجاعي تفاقمت ولا طاقة لي على تحمّلها، اركض باتجاهك بقوة ايماني بك، تصدمني دوائر مقفلة، بيدي القلمُ صادق كقوس شجاع، ولا أعلم كيف تنغرسُ في قلبي سهامي؟!..وارجعُ أركض خلف ظلّي مؤتزراً بصلاتي، أغفوا قليلا فتوقظني النفس اللوامة، أنهض واقفا من تلقاء نفسي، احتاج الى صلاة شكرٍ لله بحضرتك. فما زلتُ أمدُّ يدي مستغيثاً ولا أحد يسمعني غيرك...!.

امَّح عنا ما يكتبه الزمن بلا تبصّر

اجزعْي يا روحي فالجرح عميق، أبكي يا عيني فألم لا يتوقف، والصمت يكبل الفمْ، فلم يبق إلا الدعاء والاقتداء، أمامك الضريح أدخله بسلام واجلس عند سر الوجود والوتر الموتور، فكل نداء في حضرته موجة وكل موجة ضوءٌ، يترك اثراً في القلب. تأمل ذاتك فيه، وعليه اسند رأسك وتكلمْ كلمات سريعة تنساب نحو النور لتقلع من جسدك امراض الحياة، وتغسل قلبك من الغضب والحسد والأنانية وحب الذات بدموع عذبة.. ابسط جناحيك تكلم بلا انقطاع بلغة الدعاء، مدّ حواسك في صميمه، اخلد الى نفسك تحت انوار قبته، لترسو روحك هنيهة في فضاءات الضريح، انها النظرة التي لا تنظر وتنظر، وتعود الروح الى حالتها الاولى خالية من ادرانها الخبيثة، طاهرة ممحو عنها ما يكتبه الزمن بلا تبصّر. وحددت وجهتك، بعد ان تطهرت وأغْشيتَ بضوءِ نوره. اينما كنت أثبت على عهدك، فالغربان تريدك منفلتاً، لتلهيكَ عما حصلت عليه من جائزة، بعد ان آنستَ القبول تحت قبته. واستثمر جائزتك بالعمل الصحيح المجزي لقبولك في الضريح مؤمنا، زائرا، عاشقا،خادما. وامحِ من قلبك البغضاء ومن ضميرك سوء الأخلاق، ليشرق وجهك بالإيمان. ستبصر الحقيقة، وتستقر روحك، وكتابك مفتوح لتنبثق وفاء الروح والنفس بقوة وتكتب كتابك بيد قوية وقلبٌ طاهر، وأنت تتحسس كل خيط من النور في صباحك الحسيني، كأنه يناديك ويعقد معك عهد الولاء والعقيدة، ويحيطك بالتوفيقات، ويحميك من الرجوع الى الظلام.. منذ الآن أغسل كل يوم قلبك بنور الضريح، والبس جسدك ثوب الطاهرة والقوة لخدمة وأجعل روحك جاهزة للجهاد، وألوذ بنفسك لتكون كل صباحاتك عند الدماء الزاكيات شاكرة لَنْعُمِ لله، حتى يكبر عشقك فيه وان تموت على أديم ترابه الطاهر.

امْسح عنا دمع التوجع

سيِّدي، لم يبق بقلوبنا شيء، أحلامنا بسيطة وواقعية، فامسح عنا دمع التوجع هو غاية المنى بالحياة، ففي وطني حدثٌ خطير يسير على خطى عقيدتك، شباب خلعوا قمصانهم ورفعوها راية تحمل اسمك، وذهبوا بها الى ساحات الوطن؛ يبحثون عن بطلٍ يشبهك، فقد وهنَت حياتنا عن صحوٍ، بعد ان امتلأت بالغمام، وترامتْ عليك لتمحق نجمكَ. نزعوا جلودهم السقيمِة وجاؤوك يرتَّقُون خطاكَ، لأن أرضكَ ما زالتْ تحف بها الثورات؛ وصدى صوتك يقلبُ عليهم رؤاهم، وكأن طف كربلاء لا يفنى وباق على مدى الاعوام. وعَبرات وعِبرات ذكراك تخنق الصدور، وتصوغ بحشرجات البكاء لمواليك محاكاة الغد الآتي.. لابد من خطوة لايقاظ دولتك الفاضلة. بحر من البشر باسمك حرك سفينة النجاة من مرساها فمن ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك. ها إننا نتنفسُ أنفاسك، أملاً في الوصول الى محراب نورك، وأدمنا الدروب للصلاة تحت قبتك، ونناجيك باسم العراق بشبابه وأمهاتهم، بشيوخه واوجاعهم وحرمانهم وجوعهم وشتَّى أدعيتهم؛ فألهمنا صبركَ واهدي لنا ضوءا، وزفّ لنا نصرا على من أخذ حقوقنا، وسلبنا ارضنا وحول تربتها الى هشيمَ احتراق، وأبعد عنا وطننا العراق، وأعلن موتنا المؤجل زرافات. امْسح عنا دمع التوجع؛ اننا مذ كنا ضياؤك لم نطق فحوى الظلام، غسلنا خطايانا بالدم ووقدنا نيران أفولنا صرخة كي يعلن موتنا وطنا لنا؛ وطنا فيه اسمك، يساعدنا للعبور الى الصراط المستقيم..آه يا غفلة الروح عنك في زمن موت الأرحامَ فينا. مولاي، أيقظ الأرحام فينا وادعوا مهدينا ليظهر، حتى لا يدع للظالمين مجالا أنْ ينفذوا، وليرفعْ راياتُ العدالة الالهية ويوقف نزيف دم الابرياء، ويمحو من وجه الارض كل ظالم وباغي وكافر، ويعلن الهمَّة لصلاةٍ بتراتيل الظهور.

ضريحكَ يحفّزني .. يستنطقني.. يستنفر كلّ حس فيَّ

سيِّدي، تركتُ على باب عتبتك كلَّ أحلامي.. وروحي تسألكَ عن بصّارةٍ جديدة للقب والعينين؟!. وكلما توغلت في عمق نورك يمسكني جزع، وصرخات، وكلمات.. وأنا أرى وانسى، وأبكي كأني أسمع صوتا خفياً.. فأرفع رأسي تحت قبتك وأضع يدي على يدي وأمسك شباك مقدسك، وبين رجفة ورجفة اسابق الزائرين لتقبيل ضريح جدثك.. تدفعني اياديهم بأطراف اصابعهم فتحفزني .. تستنطقني لغة كالشمع، أشعلها تضرعات. أقفُ أمام مشهدك لتُطفئ خوفي، وتتقبل عشقي، فعشقي بمعرفتك لا تكفيه دفاتري واوراقي، لأني لم أر نوراً أمامي غير نورك.. فأطوف حول جدثك وأغرق في حكمتك.. وكلُّ شيء فيّ غريقٌ في ضيائك.. حتى نداءاتي صارت شهقات.

خلّي روحي برهةً تحلم برضاك بين أجنحة نورك.. سَبرها كي ترحل فيك، تقتفي مآثرك الاولى وتصغي بوجع لصدى يبرق خلف جدثك.. لتجزع الجزع كلَّه، وتبكي البكاء كلَّه. ولأنها عارفة بحقك، ورصينة بمعرفتك تتصل على مدار الوقت بأحزانك مع مواليك وزائريك وخدمتك، وبدونهم.. مقابل أن أفوز بنظرة منك، مقابل ان يغفر الله لي باسمك. تجهَشُ أنفاسي وتذوب وقلبي الى هواكَ يؤوب، والوطن وأنا في شتاتٍ، تتناهبنا الآلام وفخاخ الفساد، حتى تركت فينا جراحاً بلا ضماد واياماً من رماد.. لم يبق غير لُطف الله وأنفاسك تشذب أوجاع الفقراء، وترتق أرواحنا التي غزتها شياطين الانس بملذات الحياة. الصمتُ في حضرتك كلاماً، والهمس قرب جدثك توسلات ترتل الآيات، ومع كل نفس السلام عليك.. وأجمل، وأنقى، وأحلى، وأطيب المناداة السلام عليك، يا ابا عبد الله. لأصل اليك بوجهٍ يحمل الصدق في الفعل والقول والعمل.. وأكون زائرا، خادما كنخلة لا تميل مع كل ريح ولا تصدق القش اذا نثروه الحاقدون..

امنح صوتك خطوتي حيث تراني ولا اراك..!

عفوا، سيِّدي روحي في حضرتك هائمة، والقلب يحلم قرب جدثك الطاهر، اخاف عليه الصحو، قبل ان يذهب الجسد دون ان تمنحني صكّ الانتماء الحقيقي لعقيدتك، وتنطفئ العيون قبل ان ترى اليقين.. انك رحمة الله الواسعة وباب نجاة الامة..

هكذا تعلمتُ بالفطرة العظيمة، وتدربت كحمامة حضرتك الشريفة، ان تطير حولك، وتحلق عاليا فوق قبتك، وتسير خجولة معي، كلما تفتح باب التوفيق لزيارتك، واشار الى القلب الى الروح حاجة النفس الى التطهر، حينها تبكي العيون بلا سبب أو بمليار سبب، مطلعه كربلاء التي تغذت ارضها من اول نقطة من دمك الطاهر، وما تزال ترتوي وتحتضن قوافل الشهداء باسمك.

غصة تسحق العالم بأوجاعها، لتولد أثرا كُتبَ بالدم فيه تنمو بذور الاجيال الحسينية التي تجمع ما بين الفطرة والحقيقة لعقيدة مأثر كربلاء، ليتعلموا حب الارض والوطن.. وطريق الحسين.

عفوا، هكذا تفتحت أعيوننا..! وتحسست حواسنا، تنتفض لحظة عزائك، نمضي على منهجك كي نعلم الاخرين طعم المكوث بجوارك صرخة لحثهم على اكتشاف سر علوك، فلا قيمة للخشب امام الذهب ولكن عندما توشك على الغرق ستمسك بالخشب وتترك الذهب، فالصلاة تحت فضاءات مملكتك النجاة من الغرق والطريق المستقيم الى جنان رب العالمين..

فكان صوتك منارات الهدى بشرت الانسانية بك، وصاحت الاسرار الالهية أهوالها، من عرفك بها فاز بايات الله، ومن لم يعرفك خلط بين الطريق والآيات..

من عرفك، راءك مفعما بدمك، وكأنه يسمعك بوضوح وقوة:

ان صدى صوتك مرتج في العالمين، ويحسون بيدك في أيديهم، هو دمك الوفي يوجب الوفاء.

ليس في الظل دعوة..ليس في الجمر من رماد. في الضريح عصاتي اشق بها بحر ذنوبي واستكين، الضريح في شفتي. ادمنت أول الاشراق في بوح النُدامى. عمدني سيدي ما بقيت كي ارتل سورة الحزن في الضريح، فروحي الان موصولة به لا يجرؤ الزمان ان يخمد روحانيتها.

عفوا، امنح صوتك خطوتي حيث تراني ولا أراك، حيث انتظر الاجابة .. الاجابة ستأتي حاملة هديتي ، صك قبولي...

إنَّ أجملَ ما في حضرتك فرصةٌ للبكاء بنقاءْ

سيِّدي وحدَكَ الآن بعد الله تُدركُ، أوجاعَ عمرٍ، وبكاء بلا دمعٍ. تسمع أصواتنا، ترى أقدامنا تمشي إليك عارية الخطى، ندفن أجسادنا في ضوء نورك، نغرق فيك بعيداً عنك، قريباً منك، فالغورُ عميق.

نحنُ لا نفقهُ حكمةَ؛ محنةُ المبتلى بمعرفتك بيقين؟!. فكلما حاصرتنا الأوجاع نطرقُ بابك، ونطوف مع الذاتِ ونبكي بدموع أو بغير دمع، فيزولُ منا ألف هم يليهْا، وتنصهر منا الأحقاد والفتن.. ونصغي إلى لغة الصبر، أنت سيدها.

إنّ أجملَ ما في حضرتِك فرصةٌ للبكاء بنقاءْ.. فجئناك بالدمعِ المعتق والخطايا، نشبه نهراً من الضوء، نرى وجهك في المرايا والعيون. وحيث يولد صوتك، ترتفع أصواتنا لأنها لم تُوهب إلا لأسماعنا..

باسم صوتك، نسألك الأمان بإمام الزمان، من كل باغٍ، ودعي، ونّمام، ومن كان بلا حياء.

أنجدنا نحن الذين، تركنا حياتنا كالمراكب من خلفنا، كي لا نغرق إلا في عشقك، ولا تتركنا على أبوابك مخذولين نحدق في ضياء ضريحك بعيون آفلة. وحدكَ تدركُ دواخلنا، وحدكَ تخفض جروحنا النامية في ذاكرة تجدد الوهم.. ما تعانيه أرواحنا التي تشبه الأشجار؛ لا توثقها الريح في خضم صرعات غير متكافئة.

أحياناً نخبّئ البكاء في حدقات العيون، كي نمس شباك جدثك، تخرج الدموع من محاجرها عنيفة تهتز لها الأجفان وتحترق الوجنتان، والقلب يفرغ شوائبه والعقل يخرج الأوهام كالدخان من خلايا الدماغ، يلملم ذكرياته. يقف شاهداً مثل تراب الضريح، يبحث عن لغة في التضرع، تعبر بتوسلاتنا حدود النور، لتمسك بها ملائكة قبرك المحدقون، يسكبون على رؤوسنا ضياء رحمتك،

ونستحم برائحة عطرك الزكي..
فبينك، وبيننا مسافة الضوء والتراب، لا عودة لمن لا يأخذ منك تراباً ابيض ينّور وجهه، لا رجعة لأوهام وأفكار دون ان تغسل وتتطهر عند جدثك بالبكاء. فالدخول لحضرتك عنوان، والخروج منها إنسان.

دعني أكلّمْك بطلاقة اللسان مثلما يناجيك صمتي

سيِّدي، أحسُّ بالفزع وفي رأسي العليل متسع لأي حلم وأمل، وفي عينيّ أسئلة لا حدود لها ولا توقّف؟!.. وفي فمي صراخ لا يبرح شفتيّ، وقلبي يحشرج باسمك كأنه شجي من آلامي وجزعي وحرماني. يخرج في الكلام إليك – نقياً من كل رجس– وأشجاناً لا أجرؤ على أن اذكرها، وأنا – عبدك وابن عبدك– جدا متعب وجسدي ضئيل. أبحث عنك بكل بقاع الضوء، أريد أن أراك في جميع الاشياء. اجعلني أعطّر عذاب تضرعي مثل خادم مثمر نزيه في مرقدك، يعرفك حق المعرفة، ويخاف الله فيك في كل شيء. وأجعل جسدي فراشا يطمح ان تدوسه أرجلُ زائريك في كل أركان نورك وبكل الجهات، وان رضيت عني ادفنيّ مولاي في أثلامك عميقة الظلال، أو أمنحني فرصة الاستشهاد على طريقك الخالد، أو أمنح مفرداتي صبغة رضاك، لتبقى لي عقدا سرمدياً، كي أمكث حيا بصياغة حب ولايتك، ومتوهجا بضياء ونور عقيدتك.

أحس بالفزع، فمنذ صغري والألم في فمي صراخ، وقلبي الفياض الآن يتهشم كالفجر تجرجره كلمات من الوساوس المِرَّة، تغدو نحيلة لا يسمعها أحد، كآثار الملايين من نَشْدُو لنزف نحرك. وأنا أميل مع آمال الملايين، أرمي أحرفي الحزينة الى اديم جدثك وأتضرع تحت قبتك.

اجعل حروفي، تتلألأ كأنها روحي التي تئّن تنطلق من دياجيرها كأنين العاشق الجريح اليك يلتمسك ان تخرجه من الاوهام والأحلام والصمت الى بساتين شفاعتك. ودعني أكلمك بطلاقة اللسان مثلما يناجيك صمتي. عسى أن ترمقني بنظرة من عينيك فأغدو كما تريدني وتصيّرني كما تشاء.

آن للقلب التائه ان يطمئن بجوارك

ها انت تعود بقوة الى فضائك، صلباً كالمسمار في محطة لم تكن في الحسبان، يهتف بك القلب: ان تتشبث وتخلع الجنون والوهم، وتؤمن ان الايام تمضي ومذاقها يتغير، وحياتك تتفكك، والهاوية تتسع في كل مكان تفتح اذرعها للضعفاء والجبناء والمرتدين، لذا عليك ان تمتلك القوة الكافية لدفع كل ما يتكدس في الرأس من ضجيج ودبابيس أوهام وعقد، وتقرْ بأنك انسان. ها أنا أقرُ له بالولاء، والجأ اليه كي القاه، وروحي ماثلة بين شفتي أرممّها من أهوائها، وأهش عن نفسي من شكوكها، وأهيءُ جسدي بطهارة ان تمنحهُ فتوة النور قطرات تملأ خلاياهُ نضوجا بالطاعة الى خالق كل شيء، فأنت سيدي، طريق التائهين ومحطة الخائفين وشمس دين الله وضياؤه، الذي ثَبّتهُ بدمك الذي أفل الى السماء لتكون أرضك بقعة نور وقبلةٌ للأحرار والصابرين. من اعماق الصمت جاء صوت القلب يدوي ثانية، انك تعود من حيث تذهب، لكن ليس الى ذات المكان، بل الى مكان مرئي تطوف حوله الأنوار: فأثبت عند سيدك، فأنت عبدهُ وأبن عبده، وابن أمته، فأكشف في حضرته عن عشق ولائك، وأحرق عينيك بالدموع، وارفع كفيك نحو السماء واسرج معصميك تحت قبته، وقلْ: أنا الغافل التجأ اليك بالصبر الجميل، فخذ من دمي عطشي، وبارك همتي بين اطياف ضيائك..الآن سيدي، آن للقلب التائه ان يطمئن بجوارك، وفي دمي ثورة الطف.ها انت الان تبصر الحقيقة، واستقر تيهان روحك عند مولاك، وكتابك مفتوح، لابد من المحو لتجدده بالعمل والاخلاص والصدق، لتنبثق وفاء الروح بقوة وتكتب كتابك بيد قوية وقلبٌ طاهر..وليطمئن قلبك ستتحسس كل خيط النور في صباحك الحسيني، كأنه يناديك ويعقد معك عهد الولاء، ويحيطك بكل توفيقات الكون ويحميك من الرجوع الى الظلام.

إن كان لزاما أن أعشقك ...عليّ أن اركب سفينتك

إن كان لزاما أن أعشقك عليّ أن أسير على سمة فكرك وقوة عقيدتك، وان أتغير في ذاتي واندب مصرعك بصمت ما حييت وان لا أنسى البكاء فأخسرك، وأبقى على الأرض من أجلك.

كانت أيامي الأخيرة متشابهات، كل صباح أقف روحا منتصبة عند بابك أواجهك وجها لوجه في صمت، ابحث عن الكلمات في داخلي فتنعزل روحي عن جسدي، واعد الطرق إليك بجزع مشتاق، فينتفض حبي لآخر ما تبلغ روحي..استقر جاثيا على الأرض لا اشعر بعمقها واتساعها، وانشد رضاك المرتبط برضا الله، تحت قبتك الشريفة يحلو الإنشاد بحرية فيك فتذوب في حبك الأحزان ما بطن منها وما ظهر وتنام روحي في افياء ضريحك عارية من الذنوب ساكنة تحت عيون سماوات الله القريبة من مضجعك. فبين قبتك والسموات جيوش من الملائكة منها المحدقة والمتوسلة والساكنة والموظفة لرعاية عاشقيك ومواليك ومريديك.

إن كان لزاما أن أعشقك علي أن أواجه ضميري بالتعنيف كل لحظة في رحابك واهجر مشاعر الحياة وأقيم ثورة في معرفتك وأحارب العالم الموهوم بخطى عقيدتك واعترف إن نعيم حياتي كله يرقد الآن معك ، فكبحت جموح غرائزي التي لا تجدي وقطعت روحي الفتية عهدا أن تكون طائعة لك وتفر إليك كالبخار في الأحلام، وإذا أغمضت عيني بعيدا فيخر الكون ميتا حولي وحين افتح أجفاني في حضرتك تولد الأشياء من جديد وعقلي كالبحر ينحني على صفحات خلودك فيبصر ظلمهم، وصبرك ويرسم ممر الحياة، وكانت ليلة قتلك ممرا لكل نوع من أنواع الحياة ودمك الطاهر صمم لوضع بداية لتحليق راية الإسلام التي كسرت أعمدتها بيد الباغين من سلاطين الكفر وجلاوزة

الكراسي المحطمة...لتشعل قلب الظلم من كربلاء فأمست كربلاء رسالة السماء عصية المنال تعري ماضيهم وتصنع المستقبل وتثير الشك فيهم وتوقظ الحقائق.

إن كان لزاما أن أعشقك عليّ أن اركب سفينتك وأبحر بجناح خلودك من كربلائك احتضن البحر الهائج سفينتك وأعلن مواليك إن من ركبها نجا، ففارت الدنيا رجال وتشكلت امة باسمك سيدي وأصبحت أنت قلب الأمة ،بمقامك الهادئ تراقب منظر عودة قتلتك من جديد بأطباعهم بغرورهم بفسوقهم بأحكامهم المريضة.

اعلم سيدي إن الجرح الأول نفذ والصوت واضح وأرسلت سفينة النجاة شارة ضوئية وانطلق الأحرار من ارض الفجر مثل البحر بدأ رحلته ،يظللها جوهرك لتمزيق صفحاتهم ليعيدوا الدرس من الجديد ويعلمهم ان من قتلوه في كربلاء اكبر من اللانهاية.

انت الضوء... وما زال لدينا وقت للإخلاص لك بصدق

منْ الضريح نبدأ حين تُدركنا المعاصي، ونخرج عن أطوارنا، وتفيض ذَاكرتنا السيئة، ونخلط بين الاساطير والكوابيس، وينعدم فينا الاخلاص لتنقلب حياتنا حزنا وبؤسا وخيبة أمل.

نمضي بقوةٍ باتجاه قبرك خائرو القوى مذنبون، صوتنا الهامس أنين لا يسمعهُ غيرك. حزّت قلوبنا الندامة جرح لا يمكن تضميده ولا تطهيره الا برضاك. نفرّ الى رياضك في هيأة النادمين لنكون تحت رحمة شفاعتك .

من دون ان تنظر الينا نضع رؤوسنا بين ثنايا عتبات ضريحك ونبكي بصلاة حزينة الى حدِ تنزع النفس اللوامة افعالها الدنيوية دون ان تفهم شيئاً، بل تتحسس متنبئة نبوءات الرضا القلبي والراحة بالنفس والامان للروح. هو ضوءك قد سرى في اجسادنا فطهرها وحررها من رغبات الشيطان السرية وسلطته المتصنّعة، والأكاذيب والأوهام ومتراكمات الحقد الدفين والانتقام كل ما سنحت فرصة.

ضوءك اذاب بقوة نوره كل مخلفات الروح السيئة. فوجب علينا الشكر على نعمة ضوئك، سنرتل بأعلى اصواتنا خجلين «تسبيحة الشكر»، ونرسم اِخلاصنا كمهذبين غير منافقين ولا متجرئين على قدسية حرمك وأومر سلطتك الالهية.

بضمائر طيبة: نقسمْ حين نلمس بأيدينا شباكك المطهر- ان نعمل بقلوب خالية من الأنا، رحماء بيننا . مخلصين لله وللدين ولك. فما يزال ثمة وقت.. وانت الضوء. وما زال لدينا وقت للإِخلاص لك بصدقٍ، فقد تأخرنا كثيراً، لِنجرِ بسرعة ونمسك خيط النور فرائحة موتٍ في الغياهب تعومُ حولنا بهدوءٍ .

أنتَ عونٌ لمن لا يجدُ عوناً في بقائه وفنائه

سيِّدي، إليكَ مسافةُ رُؤيا مَا، يعرفها القلب المُغتسل بحنَينِ الضرَيح. أستنطقُ نورك لساعات اليأس والبلاء.. إشارة منك تهدمُ صعوبة الحياةِ، وخوف الزمنِ الدَّائِر. لا يملكُ المؤمنون غير مسافة ضوء بيضاء ما بين قبتك وجدثك، يجْرجرُون الدُّعاء وحناجرهم تتقن التوسلات. يقرؤون باسم حبك نافذة أمل كي يمسح الله كل دمعةٍ من عيونهم. فالحمدُ لله تحت قبتك يُزيل الاوجاع والامراض في زمن التحايا السريعة، كأنك تقول: لا تقلقوا.. اقرعوا بابي تفتح لكم، كل أبوابي تؤدي الى رحمة الله فاختصروا الطرق. لا وقت للتكبر والغرور، لا مكان لصخب النفوس وتقلبات المزاج، فالصلاة والصلوات الدائمة، تتحللون الى ترابكم الاول ويصاحبكم بياض أعمالكم كالمسك الى الحفرة، كل الطرق تؤدي اليها.. فاختصروا.

مثل القلب اقمنا تراتيل زيارتك، وفي الضمير صوت، نراقب به نماء كراماتك ونحن على يقين انك مقرض صبرك نوراً لمن يتبع النور. هواؤك فوق كربلاء، يمنحُ رئةً اخرى.. ونتنفس، ونختبئ في قلب مقدسك؛ فالجسد بترابك لا يعرف المرض. انثر علينا تراب شفائك، ففي كل ذرة منها طلب.. وفي كل طلب رجاء.. وفي كل رجاء قلب، وفي كل قلب أنت، وأنت أيها الابهى..عونٌ لمن لا يجد عوناً في بقائهِ وفنائهِ.ليس لنا غيرك. نحثّ الخطى نحوك، لعلنا ننتصر على -كوفيد- ونسكت نزيف الموت ونستريح، يكفينا سدُ الرمق، وأسمال بسيطة، وأنت. أنظر للذين بقوا في حالهم ورضوا بقلبٍ جازعٍ يعظُ؟!. عيونهم وقلوبهم التي بكت عمراً لو جهروا بها لجاء الحزن محتاجاً لهموا. ويبقى الحلم المستهام بمدينتك، ان تحمينا أرضها حين ننامُ ونصحو، نقول: السلام عليك. نحن زائروك كسرنا الوباء في عمق أرضك وقلوبنا ما زالت تمضي اليك .

انت مَنْ عرفَ التقاط القلوب الطيبة لخدمتك...!

انت مَنْ عرفَ التقاط القلوب الطيبة لخدمتك...!، انها حقيقةٌ يرددها العارفون عبر الاف من مكبراتِ الصوت، فاِرْتَادَت صدور المتضوعة برائحة مشهدك المقدس، فقالوا: أنها توفيقات إلهية انتقلت جيلاً بعد جيل، لاينالها الا ذو حظٍ عظيم، حيث تغرق الروح في فردوس جنة الدنيا المعطرة بعطر الامامة.. هنيئاً لخدام الضريح.

الطيبون المُدَهَّونَ والزاهُدون والعابدُون والعارفون والخّلصْ من الخدم، شاهدَوا قوتِك ونفاذِك، وجنة ضريحك، الممتلئة بالكراماتِ عصراً بعد عصر، فتعلموا ان يخشوكَ في حركاتهم وافعالهم، فالقلوب الطيبة التي يظللها ظلك تتحمّل دائما عقوبة أي فعل او صخبَ تحت خيمة لوائك.. طوبى للصابرين.

أفيّ وسعِنا أن نكون أهلا لهذا الاختيار، انكم هنا امامهُ في نور الله، يرصد كل لحظات تواجدكم، يراقب عن كثب حرّياتكم، اعتقدوا انه يسمعكم، يرى كي شيء، يراكم مثل مرآةٍ، لذا يساور الخوف كل من ان اخطأ (بنظرة ، بكلمة، بشك، بفعل ، بحركة)..فاز ونجا من عمل بخوف الضمير..

لا شيء أعذب على القلبِ الممتلئ بالضمير حيّ يراقب نفسه، من زواحف الظلام، ويحرسه نور صاحب المكان، فهو مَنْ عرفَ دائما كيف التقاط والانتقاء باتقان..؟! هو قلب مرآة الانقياء، يشق لهم درباً خفيّةً يسبب لها الاسباب في كل مكان..مبارك للانقياء المنتقين...

لملموا انفسكم بذاتكم، لن تأتي الفرصة التقاط مرتين عند أركانِ الضريح الشريف في هذا الزمن الخطير، انها فرصة الجنة التي لا تعوض، حاكوا فيها ارواحكم تحت قبة جدثهُ، حتى تطهر اجسادكم من ثقل اوزارها، فالزائرُ يتعب لنيل الرضا، والخادم مُنتقى عن رضا، يشعرُ بالضمأ ويتولدُ من الماء.

أنتَ يا سيدي.. وطنٌ أعشقُهُ

سيِّدي، في صباحِ كلِّ يوم، لي كل هذا النور، أرمم به النفس الامّارة بالسوء وأحلم أن أكون في وطنٍ، أبيع به السعادة تضرعات، لأجد جنتك اذا ضاعت انسانية الحياة؛ كفقير ينتظر يوم القيامة.. يفكر في الجنة ويرسم النار!. ومن أجل تكرار غياب مشهد جنة الوطن. سيكون ضريحك وطني، جنتي.. وأبدل اسمي بالحسيني كي تعرفني مدينتك، ومن لا يفكر بوطن الحسين، يسمع ما أفكر فيه. سأظل أرنو في طريقك كي أحصل على لقب اسمك.. كيف يسمى الإنسان حسينياً ولا تعرفه كربلاء..؟!. أنا أصدق قلبي وأندم. حائرٌ الى أين أمضي. لا أرى شمسا في وطني ولا شجرة مثمرة، وكل من حولي قادني الى مشهدٍ غامض، يقتل فيّ حب الإنسان، يزجّني في الفراغ، يقصّ جناحي، فاسقط على جهة لا أراها، فأكون في لحظات من الصمت، أتخطّى طرف الحقيقة، يجثم فيها القلق، والأرق. بعدها لن أعرف سوى صوت.. هنا تراتيل لمآتم الفقراء، هناك صرخات شباب غلبهم الهوى واليأس غاب عنهم الوطن، لم يعد يبصرونه، يريدون أن يغرسوا أكفهم القوية في الأرض كي تثور بركاناً في رؤوسهم. والقمم فيها قادة من كارتون، تعيد في الصالحين ذكريات الجرح الدفين، حزن بين الحاء والكاف، والخلود والهيبة مع الطاء..امنحني نورك ليكون وطني، وارفع عني عقلي المشوش، لأعيش بأمان تحت رحمتك. لم تعد لي رغبة في أي شيء، سوى الرقود بقرب جدثك، ومكان أليف بوحدانيته أكتشف نفسي كأني لا أحد. أبكي بما أفكر: بهيبة رجل حر، يعشق حرا كأنه وطن، وحنونا بدرجة فقير، وحسينيا بدرجة كريم. فأنا بدونك أقل من عاشق وأصغر من موالٍ. وفيك تهتزّ روحي، وتُعشب دقات القلب في تراب جسدي أزاهير من الكلمات تأتي إليك بعشق وطن وأغلى. فأنت الآن وطنٌ أعشقه. فما أبهاك من وطن.

أنتَ وحدّكَ ليّ ضوء لا توصف فتنتهُ
وأنا العبد اللجوج في عفوك

سَيِّدي، ها أنا أتكرّرُ في ارتمائي على ساعدِ نورك، فأنتَ وحدكَ ليّ ضوء لا توصف فتنته.. لمّا يتراءى ليّ اني أراك وجهاً لوجه؛ روحي تملأ حدقات عيوني انبهاراً، تملأ أخمص قدمي خوفاً. فأقف فقيراً بين بابك وانتشار ضوئك.

أتوسل بك الى الله، فتخرج الدموع مع الروح مغصاً منزوعاً من قلبي.. واعد لك من جروحي ونبض أوجاعها لغةً من رأسي، نقيةً، ناميةً، أخاطب بها كل جلالٍ فيك.

أنا في نور رحمتك كقارب يترجرج وسط الماء، أسلك الصعاب لنيل شفاعتك.

ففي وطني الذي خرّبته سياسة الخيانات أتعذب، لا أدري إلى أية جهة تسوقني الأقدار، وأنا اللجوج في عفوك.

آه، لمن لا يجد عوناً في بقائهِ وفنائهِ..

آه، لمن يطير بين الأرض والسماء كحشرة يصنع الأزيز ويمضي مخرّبا ومتخرّبا.

أيها الأنسان البَطِر: لا تمشِ في الأرض هواناً.. والله لا يحب كل مختالٍ فخور.

سَيِّدي، ها أنت هنا في قلب ضريحك تمنحني شرفي.

وأنا أقسم لك بالإخلاص والتفاني في خدمتك، أرفع راية إنسانيتك فوق رأسي ولا أبيع دمي، أو أدورُ به بين الغافلين والباغين والطامعين ببلدي.. كل أحلام أمنياتي أن أموت خادما في روضتك.

سَيِّدي، أبداً ذكراك مقيمة في نفسي.. محفورة في قلبي، تصهر روحي، وأنسج من تاريخ الطفوف قلائد جزع وألم وحزن دائم في صدري.. وأصْبغها بلون النواح، ولا ينْقُصني غيرُ الإحساس بطيب الشفاعة..

جنة حقة، حين تنثرْ عليَّ ضياؤكَ.. لأسْمعكْ بُشارة رضاك.
سَيِّدي، عشقتك فاهتديت، افتحُ زيارتك أغرق في الدموع، أقرأها فأجدك مرئيّا بين الحروف والكلمات.. أعشقك أكبر، أغلق زيارتك تقرؤني دمعة بطرف عيني من شدة الشوق إليكَ، فتستل الروح من جسدي فأنام مستريحاً، وضوؤك يملأ قلبي.

انثرْ عليَّ ضياءكَ.. لأسْمعكْ

ها أنا في مكانِك الكريمِ، الذي لا يعمل فيه إلا المُزكّى، أخطف من نورك المطلّ على الجنة.. هنا يصبح التضرّع لله مبسّطاً، فبدعاءٍ واحدٍ تحت قبتك، كم من الأوجاع والآلام قد اختفت؟!، وكم عند أبوابكَ من الذنوبِ قد احترقت!؟، وتصعد صرخة المظلوم سلّم الاطمئنان برحمتك، وينام الحالمون بالنجاة نوماً هادئاً، وقد غطّتهم أضواء رضاك.. فحضرتك قَلبْت مشهد الكذب الغامض، والحركات الخالية من النور، والأيام المتمردة الى الايمان باسمك.. اسمك الذي ينبثق منه في كل لحظة صرخة لمنْ ضل سُبله، وأدمته تقطيب الوجوه المقنعة بهدوءٍ مُداناً..

وأي باغٍ ومتجرّئ على قدسيتك؛ أمام صرخة اسمك ينحني على ركبتيه المثنيتين ليتغلّب على خوفه. خوفٌ لا يوصف، يجعله يهرب منه مُكابراً لبغيه؛ بينما أرضك تزدهر، تزّينها السماء بالأمان وتصنع شهدها بنفسها، ويعلو عمرانها المتماسك عليها ظلالاً من الجنة..

كأنك قلت باليقين الظاهر: نُلتْ كل ما أراده ليّ الله.. أمام أعين الخائفين والحذرين والحكماء والشكاكين، أقوياء وضعفاء وسذج وعلماء.. والأمل قائم دائم بالعلماء الانقياء، وخدمة ضريحي الاوفياء الشجعان وهم يحمون ابوابي من الايادي الباغية.. يبذلون جهدهم كي يبقى الزائر آمنا، وثورتي قائمة مع الانسان حزينة تشبه يوم الطف.

ها أنا في رحابك، أنزل، أصعد لا أشتركُ إلا في مرضاتك.. أنت، أملي الهادئ في بساطة خطوط الحاضر، وقوتك وحدها تسكنني ، أشمّ عبير وجودها في داخلي؛ فأرض جدثك لا تهب إلا ريحا من الضياء، تغسل الوجوه بالنور، وتكحّل العيون بالدموع، وترهف الحس، ويخفق القلب، واللسان لهجاً يتضرّع

كي تنثر ضياءك، أن تسمع أنين الروح؛ وتشفيها من أوجاعها.. في ضريحكَ تغْسِلُ قلبي من أدْرَانَه- متعب لا ضعِيف - حزين لا مُستسلِمَ، لمْ نشُمَّ غيرَ عطرِ النبوة، وأنا على الاحْتراسِ كي لا أخطئ في حضرتك، وأطيل الترَقُّبَ بلا هوادةٍ، على عتَبَةِ جَدْثكَ، وأغزلُ الدموعَ، وأصْبغها بلون النواح، ولا ينْقُصني غيرُ الاحساس بطيب الشفاعة. جنة حقة، حين تنثرْ عليَّ ضياءكَ.. لأسْمعكْ.

أنحتُ عشقكَ صلاة عند جدثك الطاهر

سأحدثكَ دونَما قول، بكلام ليس له حدود ولا يتوقف في مكان ولا زمان، وشيئا فشيئا سيفوح عطرك في روحي وذاتي ونفسي، عندها سيراك قلبي بما لم يره من قبل، ولم اره بعد..

كنت اردد بهدوء كلماتي عند عبوري بين الراس والجسد، والملم دمعي اهزوجة حزن وألم، وينطق لساني «السلام على الدماء الزاكيات»..

انطقها بخوف وصمت حقيقة لم اصل الى سطوعها المقيم، فاغمس عيني في فتحات حرمك وابدأ بالشم والسمع، مجنّاً اشتعال قلبي الحالم برؤياك، مهرولة روحي نحوك، فيأتي الصوت مدويا في راسي:

الان يكفيك جزع الدموع، وأنت تحارب النيات الخربة، منذ زمن لا اذكره واخشى ان تتسرب انت في غفلة من عيوني.. اقفل اذنيك بقفل الايمان واختم عليه بصلاة عند محراب الامام، واضع على عينيك من تراب السجود حجابا، وواصل المسير.. انت على وشك خطوتين، افتعل الصبر واحمل ازميل الانتظار، وأنحت عشقك صلاة في ضريحه كي تهزم النمام والكذاب ومن لا يخاف من قدسية المكان ولا يهاب سلطان الزمان الذي ترفرف راياته علنا لبدء قيامة الانسان، كي يخلع ثوب الطغيان..

تذكرت ان وجودي جاء بإشارة حولت ظلماتي الى بصيص نور وأمل، حين قالت لي زهرة العالمين: انك مرهون بكم من النذورات، اطع نفسك وشد الرحال الى الغرض العظيم، وقف عند بابه وقل انك مبعوث من رؤيا الخالدين، وأمنّ بما يصيبك فهو قدرك المكتوب على الجبين..

افقت من رؤيتي اجترّ الخطى بقلب ملتهب بالعشق لمولاي، فوقفت عند بابه انسان لبس ثوب التوبة، وشرح بصمت الشفاه كلما خطر بالقلب من اماني

وأدمنت الحضور والتسجيل عند شيخ الأنصار، واختصرت في حضرته كل شيء، الكلام والمشاعر، والناس..!. فأمسكت بحلمي، أغمرتني سعادة العالم الآخر، فأيقنت ان في حياتي الوجودية هناك حلما يتحقق وآخر يتعثر وأنا باق على قيد الانتظار.

حينَ يكبرُ عشقٌ في حضرتك تصمتُ كل الكلمات

حينَ يكبرُ عشق في حضرتك تصمت كل الكلمات، ليصبح عشقنا لغة عميقة للتعبير، وتجعل من عيوننا رسائل مكتوبة بتوسّل وتضرّع وجزع ووجع في كل أرجاء فضاءاتك ... وحين تشعر أرواحنا بقصور تبحث عن مصالحة الذات وتغرق في أعماق جسدها لا شيء يوقفها، ولا مصدّات ولا أي من التساؤلات الحيرى، ليبقى الحزن عنوانا سائدا في ضلوعنا، فينطلق القلب طوعا لنداءات الروح بانسياب حر يداوي الحزن بالحزن ..

سيِّدي، أعود إليك نادما بعد أن قتلني اليأس وجفّت ينابيعي وغلبني الشيطان وغفلت لحظات عن ذكرك. أنارت الأضواء فجأة في كياني كله في تظاهرة حب وعشق لخدمتك، فكل دقيقة في حضرتك لها في راسي توهج نحو طيفك فيختلط دمي بدمعي. وهذه هي القوى الخفية التي تسري بروحي.

فمنذ أن أبصرت عظمتك، كبرت وأنا اردّد اسمك مع كل دمعة ترسمها عيوني على أديم وجهي. تعلقت بطينتك، وتكونت منها وبلغت الرشد وأنا احفر اسمك على كل أشيائي ، وكنت أغيظ باسمك أحفاد أعدائك ، واهدي لهم من صنع يدي مسبحة حباتها نقش اسمك، يذكرونك دون أن يشعروا، وذات يوم قرر احدهم أن يتحدى نفسه، ويدخل ضريحك مبتسما كي يستشعر حزني الدائم فيك، كان يستعد للذهاب وجمّل نفسه وعطّر جسده ولبس من الثياب أجملها، وتوجّهنا إليك وعيوني تراقب حركاته. ما أن وضع قدمه عند أعتاب بابك حتى نسي نفسه ،وأبطأ من حركته وقام يردّد مع الذين يصلّون على محمد وآل محمد بذات النفس، وذات الصوت، وتقدّمني بخطوات ثقيلة، ووقف عند حائرك الشريف، وعيونه تتفحص كل شيء بصمت ويبحث عني بلطف وهو يتساءل بهمس ما أعظمه فأين قبره؟ مرت بجانبه حدباء يحملها

مشيعون يرددون:(الله اكبر).. صعق وابيضت عيناه وعرق جبينه وامسك بيدي فشعرت بعظيم دقات قلبه وهي تتسارع في نبضها بلا هوادة. وقفنا أمام الضريح وحملنا أدعية الزيارة، وقبل الولوج فيها، نطق بصوت عال وعين باكية وروح جزعة:(السلام عليك يا أبا عبد الله الحسين)، وجثم على ركبتيه وقال: صلّى الله عليك يا أبا عبد الله الحسين. ونحب حتى أبكاني وأبكى من حولنا، واخرج من جيبه مسبحتي التي أهديتها له يوما. ليقول: سيدي هذه هي سر وجودي هنا. من حباتها أبي ما عاد كالسابق باغيا وعاصيا بعد أن أعطته أمي حبة منها. وأنا يا سيدي اقرّ بجهلي وأعلن إتمام إسلامي في حضرتك. كان صوته ذا بحّة ممتلئة بالحزن، وسكنت نفسي وفاض وجعي، وكبرت ثلاثاً. فقد فاجأني صديقي بما يحمله من حب لإمامنا الشهيد..

اقرأْ باسم نحرك المذبوح أنشودة الحزن

سيِّدي، اقرأْ باسمِ نحرك المَذبوح أنشودة الحزن، وألملم خُلاصة الوجعِ بمزيجٍ من الجزعِ، وأبكي تحت ظِلك، كأنك ما زلت هنا تنثرُ نورك كالملح على الجروح دون صوتٍ، وانت ترى المزيد من -اليزيديين- يشيّعون الفقر ويكَثرون اليتامى ويشقّون مواليك عن خطواتك عم موالاتك، كي نضج على أكتاف محبيك الحديد الصلدْ، وهم مؤمنون انك ما زلتَ في كربلاء تعدّ لطف جديد.. كم طفا ستحتاج؟. كم نحرا سيذبح لك؟. كي ترمّم خراب النفوس، وتقذف الظالمين بحجرٍ من سجّيل، فأنت يا مولاي، الغيثُ وسطَ اِضطرابِ النفوس ومعراج العبور؟! فلنْ يهتدي اليك إلا الناضج بمعرفتك، يبادلك بيقين العزاء، مقدّماً قرابينَ الوفاء على أبوابِ العشقِ كي تنتسب روحه للمكان ويشار اليه باسمك المقدس الاغلى في السموات والارض - هذا رجلٌ حسيني-.

هذا أوانُ الحزن، فلنلبس السواد ونطهّر القلب ونشقّ الدرب نحو ضريحك لنرسم في اذهاننا خارطة فاجعة ذبحك في عاشوراء، ليتجلّى الجزع في باطن الضمير. ونقسم في حضرتك بالدمع السخيّ، وبشهقة المضطرّ ان نسير على نهجك، ونهذّب الخطى في مدينتك، ونحمل في عقولنا وقلوبنا عقيدتك، ونباهي العالم كله إننا تحت مظلتك. لا يهمّ باي قناع نباهي بك العالم!، المهم أن نكون قبساً من كربلائك، نُدندِنُ مع الروح بخشوع بما تيّسر من البوح الجروح، ونبتكر الحزن المنسوج من الوجعِ، ونطلق ذكرى الفجيعة كأنها اليوم قد ادمتْ فؤاد من صلّت وبكت عليه ملائكة السماء، وأثقلت الجزع في العالمين. أحزنُ أيها الموالي واصرخُ بالآهات، انك دخلت ذكرى العروج الملكوتي. اصرخ من اجل حريتك. كي يطوي الله صفحات من معاصيك ويبيّض لك صفحات من الذنوب. فشهيد الطف اليوم هو سيدُ شباب الجنة في سمّوهِ المقدس.

بمولد الإمام المهيب .. أطهر روحي بفيءِ روحانية ضريحك

سَيِّدي، أنزوي بذاتي وألغي المسافة والزمن بيني وبين الامل، وأطهر روحي بفيء روحانية ضريحك، وأرسم لنفسي اللوامة تضرعات اتكوّر بها عند جدثك صرخة غير واضح صداها، وصورة انسان يأمل ان تصطفيه ارضك فيكون انسانا..

أنا هو.. هل تراني أعفر جبيني بتربتك..؟ هل تراني أدوس ترابك آمنا كالزائرين..؟ هل ترى روحي تتباهى أنها خلقت على ارض طهور كارضك..؟! وجزعت نفسي بأول صوت نطق اسمك، وظلت لوامة جزوعة حزينة حتى نالت خدمتك.

أرى كل شيء ولا أراه في ليلة رجب حيث ولد فيها علي المرتضى، تشهد لي كنت في ليلة بلون الجنة، كسرت في جسدي كل الرغبات، وفكت عن روحي كل الاوهام، وعطلت منظومة الاماني في نفسي، ففاض القلب شوقا وحبا ورضا، جعلتني أهيم بين الروضتين كأنني أرى كل شيء ولا أراه.. انها حاسة الجمال تشم رائحة وجود علي ولي الله ولا أراه..

ايه يا حاسة القبول، كم تذيقك الليلة من حلاوة الشعور بمشهد القبول، فمن الاكف ينساب الدعاء ضوءا على الوجوه وفي العيون، وعلى الجبين أثار تركتها السنون تتوهج نورا، فينفجر في القلب قبولا لا مردّ له...

ولادة ولي الله لعنةُ الله تقضُّ مضاجع الناصبين. هي درس يشبه درس عاشورائك، الباقية في اليقين. فحق معرفتك سيدي، صبراً يتوهج كأنهُ الجَمْرْ بالروح. وقلوبنا براعمٌ ندية تقهقر أعدائك، وكالجبال نجثم بالحق على قلوبهم حتى يظهر الله نصره بالمنتظر.

آهٌ يا كربلاءُ.. في عروقنا قطرات من دم ثائر

يا أرضَ الطف، لا وقْتَ، فلنسْتعد للموت، فهو قدرٌ في الجبينْ.. يا أرض كربلاء لنسيمك الممتلئ بضيق الصدور بوحٌ بصوت الموت، اليوم تنَزلُ على كربلاء من السماوات العلى دماءٌ تؤاخي الأرض والسماء.. والجيش الابيض، أعلن بدء الطواف على الجروح، كأن الطف عاد اليوم من جديد شديد العقاب، غفورا بهيّا الغياب له رجْعُه المشتعِلْ. فكل الهامات قد صدحت باسم مولاها حيدرا: أيتها – القامة – الحادة الصلدة، لو أستطيع أن أحسّ بك في القلب مغروزة.

سيِّدي، اغفر لي هذا اليوم تخرجُ صلاتي عن صمتها وتأخذ شكل الصراخ الموجوع. فالسيف على الهامة باهتزازاته الحيدرية يتقوّى، وسيرى العالم ذات يوم أين يكمن السرّ!. ان الحاضر ليأخذ دروساً معتقة من طفك الدائم، فأنت مرآة من لا يموت أبدً.

اغفر لي انني أجيء في ليلة قيامك الكبير، ليلة بدء فجيعتك، اجيءُ والنار على صدري ملتهبة، وروحي جزعة ونفسي مكروبة، سيفي بكائي وكلُّ ثروتي شعورٌ وندم، انحني بهما امام اعتاب ابوابك، أمسح تراب أقدم الملائكة والانبياء والصالحين، وأضغطُ اليدين بشدة على ارضك وأشرب الدموع من عيون اللائذين بنورك، المتوهجين بالألْم.

اصوات الفجيعة دوّت بقلب العالم، توقظ للحياة جرحا يهمس بالأسماء، والازمان، والقلوب، فالصوت قد شّب ونما، وظهر في هيأة الوجع. جعلنا متراصّين كتفا لكتف، دمعة ازاء دمعة تعبا مع تعب، لنفتح كلّ ابواب السكون، ونعلن ان صباح العاشر من محرم اطول ليلة للذبح. ونحن نذبح الصمت بالبكاء والانين، ففي عروقنا قطرات من دم ثائر.

سيدي، اليوم نعيش لحظة كالصمتِ بينَ منحرك والضريح، تقترب الروح منك، فليعْلُ النحيب.. فدمك الحي الطهور، ما يزال يهبّ بوجه الظالمين، ولا يزال ينزف من اجل المظلومين، ويمتد في قلب الارض، يجيُّء من نبض التراب، يمنح أماناً لمواليك. فوا خجلتاهُ من الصمت بيوم الدم، هذا مئزر الطف غطوا به وجوهكم واجزعوا، وحشّوا عيونكم بالسرابِ، ما زالَ فوق ترابِ كربلاء الدم. والله، حرارة النحر تشعل القلوب وتنزف الروح جروحها في كل الازمان والعصور، كضمير الرجال الخلّص الذين تسكن كربلاء فيهم وجعا يذهل عيون وعقول أكابر مزيفي العالم، وقساة القلوب ومن يكذب عينيه ويطلق لسانهُ كالصواعق ويحتفر الشكوك. جميعهم في موعد الطف، وعند صرخة – حيدر– يُصلبْون الى ذلّهم ويرتعبون وعلى اعينهم أسيَّ وجبينهم أسود.

يا اللهُ قد أعلنتْ كربلاءُ حزنَها على سيد شهداء كونك

يا اللهُ، قد أعلنتْ كربلاءُ حزنها على سيد شهداء كونك، وسمع العالم أنينها.. تقدّم أيها القلب الهائم في حبه والنابض لأجله، شاركه الوجع والجزع والذبح، واحفر ثبوت الجرم، وكن الشاهد على العصر، وقاوم جنود «يزيد» من جديد وأعدّ لهم العدة فإن الحرب القادمة حاسمة بحراب الأقلام وقنابل البث وصوتيات المنابر، وهجوم كاسح عبر مواقع وأيقونات الغرف السرية والغالب هو الأكثر ثقافة والأعمق فكرا والثابت عقيدة.

لا تتوقف أيها القلب لعلك تؤرخ عبر عينيك تلك الأسماء التي تحترق في مكنون لعبة الحياة مع السبط المبشّر بالجنة، وهو يبحر في سفينته. تعلم منه أن الحرف له أسرار الألفة وهو يراقب ضياء الوافدين من كل بقاع الأرض لذكراه أو تعزيته، وتحاصرك الصرخات، وانين الآيات المحكمة بصوت عذب يثير الدهشة يحرّك الحواس ويتلاعب بالمشاعر ورهافة النفس.

لم تمهلك العين الصبر على النحيب بوجع. فللعينِ مقامات يرويها الزائر العاشق عبر هدير يورق ويزهر حين تشاء ويشهد حين تشاء. آن للصوت أن يفرّ لمن عذّبه ويستقرّ في مكانه ويتدحرج حافيا كي يلامس القرار ويفوز من يخالط صوته في المحراب ويؤشر تأشيرة الصعود على ظهر النجاة.

اقتربْ أكثر أيها القلب المفجوع، وتفرّس في مقامه المخلد، وبعيون زائريه فقد توجّه الله إلى بقعة دمائه الزاكية، وامتد سلطانه عبر فكره الثابت وعقيدته الراسخة. فأصبح امة بدئ الإسلام بها لسحق جراد الأفاعي، جراد العقارب، فلا تسألوه، يعلم من خان التراب المضيء. ورأسه الشريف في محرابه يكلّم من يشاء، ويرتّل عليهم حينا من الذكر آياً ، ويتفقّد في صمت أصوات الملايين الناطقة باسمه المتوسلة تحت قبته والناثرة التراب على أجزاء أجسادها طمعا

بالشفاء أو تحررا من فقر.

هنا في الضريح من يستجير بحفنة رمل فتصير ماء يغيظ بها قاطعي الماء وحاملي الرؤوس الجدد، فيوسّع في مدينته ودولته وأمته ويعمّق فيها من يصلي عليه ليتعلّق بحبل الوجع والجزع تهيئة لأمة الفقراء الصاعدين لسفينة النجاة.

لقدْ جفَّ ماءُ الكلام غداً يُستشهدَّ – ذو الثفنات –

سيِّدي، كلما انطفأت شمعةٌ نما بَيننا صمتٌ، وجفَّ فينا ماءُ الكلام. نقرأ التاريخ على شواهدهم، ونرى في السماءِ عليلاً يتلوّى من ألمٍ كان جسداً يتنفس هواء أبيه وكان وجهه القدسي معرقاً بألف وجع. نهض الدمُ من أمامهِ، وبدأت الإمامة يبني بها نفوس الضائعين في بحر الوهم. كلُّ شبرٍ سار به تضيئها السماوات الغنية بالضوء.. لا شيء يشهدُ ما شهدْ كان الضوء كل الضوء حوله يولجُ ليل الحزنِ بقافلة الغبشِ المحروق، قافلة العشق والعروج الإلهي، يجيء المعزون، فيسكت الحادي:

-اخفضوا الصوتَ أنه ذو الثفنات، نجم الهدى وسيد الساجدين. تمدُّ يد مرادَهم- ويعدّون بعد شقَّ الصدورِ بقية أضلاعهم. ويزكون صمتهم بالبكاء. سيَدي، أيُّ دمٍ باركتهُ خطى الباغين وأي مصيبة استيقظ عليها الموالون في ليلة الخامس والعشرين من محرم، ليلة موت الآلف ومئات السنين.. أنها ذكرى الاجل، أنها اللحظة اذ تتجمع الارواح تحت ظل قبتك، ولا شيء في النفوس والصدور سوى اسمك، ينداح على تراب مرقدك، ويمتد الى عبر فيوض نورك الى ركن سجادك الى رمل البقيع الذي حوت جسد سيدها بظلم نواصبها.. فينقلب جدثه الى ثورة؛ دمهُ حارسٌ وقبرهُ فضاءٌ بحجم العالم، وخطبه ومواعظه بدأت من لحظة صعوده الأعواد وهي تتسامى كالأنجم الزاهرات، تصرخ تطوف الأكوان تضاهي العجائب السبعَ.. مثل البئر الذي ينبع زيتاً يضيء الصلوات الواجبة فتضاءل أمامها الجبابرة وقساة القلوب. وكل مكان وطئتها قدّمهُ، تحولت الى عتباتٍ مقدسةٍ، كي يهّيئ الجنة لمواليه. وظل قبره يبوح للملايين مثل غيمة تمطر ملحها مدراراً في سلالة البقاء، تفيض من انهارها صحيفة الساجدين قانون ما من تمسك به لن يضل بعده. يا لهذا السجاد العظيم

المكمل لثورة عاشورائك.

سيَدي، هذ الليلة يفخرَ الموتُ بأنه يطوفُ حول -زين عابديك- وهو يعاصر الازمان في المنهج والعقيدة الخالدة، كالطفِ ودمائهِ الزاكية. هل تكفي الكلمات وفاءً له؟، والروحُ تجهشُ، والجزع يذوب كلُّ نفسٍ بالصدور، وهو كنجم الهدّى يلمع في الديجُورْ، ونحن البائسين نتمنى قبساً من ضيائهُ.

سيَدي، أثبت أن شباك جدثك الذي تلمسته الأيادي في عاشوراء قطعت الطريق على وباء الموت والظلام والأوهام، وكربلاؤك كانت وما تزال أرض السلام والأمان في كل الأشياء التي لا تموت، ونحن في زمن الميّتينْ. لولا صوتك الصادح في جيل المتعبينْ ما تطهّرتْ النفوس. أنت ثورة دائمة تطهرُ مواليك بدمائك. وسيظل سجادك العابد جبل الأئمة وراهبا لمنازل العارفين....

أضعُ كلَّ أحلامي في ضريحك لأجل يوم مليء بالنور

سيِّدي، ثقيلة كل كلمة بحقك. أشعر أنني عبد هائم حول جدثك، يضع كل أحلامه في مرقدك لأجل يوم مليء بالنور. أتنقل في كل ركن من اركان ضيائك منتظراً أن أولد من جديد بشفاعتك. تجري معي روحي وتصلي، عقلي يفكر ويصلي، يقيني يصلي، أنا بدمي أصلي. وأندبك بدموع من دم وأسير في دربك الذي لا يموت. وددت أن أصل الى الله بدعائك، وأهدى الى الصراط المستقيم، كما يصل الشهداء الى الجنة بدمائهم. واجعلني في صدر سفينتك التي مزّقت بحر النفاق وقتلت كل الأنا. سفينتك تسري رغم تنازع القوارض بين النفايات، والنوارس بين المياه الاسنة.. تسري رغم قرابينهم الضالة المسرفة، مثل ريح تتوق الى نار ما ان امسكتها انطفأت، او فقاعة منفوخة بالغرور ترتاب بوجود سفينتك فتنفجر في فضاء العدم. أنا عبدك أحمل كل يوم أحلامي الى مرقدك بكرامة خوفي الحزين.. أهيم فيك معرفة، وأطير بغيبوبة العشق اليك فوق أجنحة مفاتيح الجنان، وأحطّ بين ضياء الصالحين، وأبكي آيات الله في القرآن الحكيم، واتخذ من صفاء ضيائك حداً للقدر الذي يقود روحي بأنفاس رضاك، فأشمّ زكاة تربتك كالمسك، فأشفى من كل أوهامي. ولأن أضع كل ما تبقى من حياتي وأحلامي وديعة في مكان رقادك . دعني أصغِ في زيارتك، وزيارة الانفس السمحاء في ضريحك الى صوت حجة الله. ان راسي بذكره ليتوهج على شباك جدثك مثل روح تحمل جسدها.. تبعث توسلاتها عبر تضرّع النيات الخالصة لرؤية وسماع صوت قائد العالم المنتظر.. دعني أتنسم عطره الكوني، وأتأمل كيف يكون عندك.إنه دمي الصادق يطالب بالولاء اليك لتحمي كبرياءه وتحمي نفسه من كل سوء. فالروح لا تظفر بحريتها في عالمها الحقيقي الا بعد ان تسدّد تماما حقها في طاعة مولاها بحياة العدم.

كُلُّ لغات الارض تَحْنِي قاماتها لمرقدكَ

سيِّدي، في حضرةِ مقدسكَ تهطلُ عليّ رحمة مع دفء خفي وسعادة في القلبِ، فأتوحّدُ تحت قُبتك مع تضرعي.. فتهيم روحي كأنها راحلة الى عمق جدثك، وأسمعُ ما يُهمس به الزائرين في أُذنِ فتحات الضريح.. مع كل همسة، دعاء بلغة ولهجة. ذا مُبصِرٌ، وذاك ضَريرٌ يتركون أمانيهم على الشباك، ويتلون حزنهم وأوجاعهم، ويندبون مصيبتك، ويقرؤون عاشوراء، ليروا فيها كيف توضأت بالدمع والدم قبل صلاتك..؟. فيلعنون بيقين كل الطغاة، والوشاة، والشراذم منذ طفك حتى تقوم الساعة.

هكذا هي زيارتك، واحة للجزع، تلامس الروح، لتعانق الشهداء، وتسجل حضورا عند حبيب، وتلقي السلام على المجاب، وتبكي مع السبايا عن الدماء الزاكيات. خطوة منْ كل زيارة تقلني الى أوراقي، ما يؤلمني خروجي من ضياء ضريحك، فقد اكتنزت بمشهدك. فكلما أهم بالابتعاد يدعوني ضياءك. فكيف عساي لا أخافك وأنا المسمى باسمك؟.

سأظل أركض بروحي الى عمق ضريحك، وأرمي جسدي المثقل بالذنوب عليك بالطَّوافِ، رافعاً رايتي، متوسلا بمقامك المقدس، مُعانِد النفسَ الامارة بالسوء، عسى أن ترانيَ ملائكة جدثك فتغسلني بماء السماء ليدفع عني وحشة الضياعِ، وأنا اسمي نفسي حسيني، ويطلقون عليّ خادمك؟!.

ادعوكَ، واتضرع باسم عشقك الذي أخذ كل كياني، وأربكني بعين عطشى للدمع.. ارتشف صدر بابك، وأصغي الى تضرعات وتنهدات الموالين كأنها البحر موجته تأسرني، وحين استفيق من وجعي وأرفع رأسي، وأنا بين كُلُّ لغات الارض وهي تَحْنِي قاماتها لمرقدكَ، فكانت أحلى المناداة على مسمعي السلام عليك يا سيِّدي

كم نحتاجُ من عاشوراءَ وأربعينَ كي يعلن ربان سفينتك دولتك؟!

سيِّدي، لقد رنَت كربلاء برنين الاربعين وجاء ربانها يقيم الصلاة.. وحدك ترى ربان سفينتك وهي ترسو في كربلاء، ونحن لا نملكُ غيرَ المسير اليك بمراثي الالم، عسى أن ترانا ونراهُ، فيتورد الصبر غفرانا ويفتح الله ابوابهُ لابتهالاتنا.
انتفض العالم من مواليك كما ينتفضُ البحر.
امتلأت مدينتك المقدسة بالغيث المبارك، وأنهمر خدامك في طاعتك وملئت الأرض بينابيع سر عطشك، وحملوا ذاك اليقين برؤية المنتظر، يطوي المسافات ويجيء بالبشارة بعد ان صلى صلاة الأربعين، فيخترق صداها السماء وتنظر الملائكة لتضرعاتنا.
كم نحتاجُ من عاشوراء، ومن أربعين حتى يعلن ربان سفينتك دولتك؟!.. فقد ضاقت علينا قلوبنا ونحن نراك الاقرب عند الله من حبل الوريد. ونقرأ باسمِ نحرك دعاء اللقاء.. عسى أن نُرممَ أفئدتنا المكسورة ويكتمل يقيننا، ويقبلَنا الحجة ونتوّج بشعاع الطاهرة النفيس، ونذوب في حب الله الاقرب من كلّ الخطى التي تمسُّ الروح وهو السميع العليم لمناجاتنا.
بأي خشوعٍ نسير اليك، فقد نسجنا أوجاعنا بالآهاتِ كي نطويَ انكسارنا وقد أثقلتنا -الدماء الزاكيات- وأحداث مروّعة تقشعر منها الأبدان، وجرائم بشعة تصطكّ منها المسامع، صدح صوتها في كل الأجيال، وما زالت جراحاتها تنزف وتطبق على كل الجراحِ..
وها هو دمك الطاهر ما زالَ يلقي رحمته كالنهر الجاري على كل من عرف حق معرفتك.. وقرأ زيارة عاشوراء كل صباح بحزن السماء والملائكة والناس بيوم نحرك، كأنه كان معك!. فكلما اغمسنا بزيارتك بصدق أحالنا الله الى الأبدية

ضمانا لسعادتنا.

ربما تشفع لنا زيارة الأربعين، بظهور الحجة، وتتعافى الروح من أدرانها، وتخرج النفس من أوهامها، وينقذنا من هذا الزمان الراكض في الخراب؛ نتقاسم فيه الخيبات. أيها المنتظر: لا تتركنا نتوسّدُ جراح الوطن بجراحاتنا، وجرح مصيبتك عالق في مشيمتنا. فانهض بميعاد الاربعين، وامزج الكلام بالفعل واحصو النوايا بأفعالها. فمن الصعب ان نحرر أنفسنا منك، وأنت النبض الذي سكن القلب، والأمل الذي يزيدنا صحواً لموالاتنا.

نَمْ في صوتي انت الشهيدُ الحيُ

قالتْها بفخرٍ سيدةُ المصائب، وجليلاتِ العقائل وأمينةُ الله والموثَّقة:

سيِّدي، نمْ في صوتي انت الشهيد الحي، الباغون يغلقون يدي بالأغلال ويفتحون فمي، لأكون الناطقة العاشورائية والشاهدة على قتلة ارهقهم الذبح، والمؤرخون الذين يتحدون الحقيقة، وزوروا التاريخ على الرفوف ، وتكتموا على دم وليهم بالصمت الرخامي المهاب.

والجرأة تكفي للانفتاح على الحقيقة.. الحقيقة بدمك الذي لا ينتهي، والعالم مجاميع تهوى اليك، زاحفون من كل حدب وصوب نحو نحرك الذي لم ينشف نزفه.. واسمك بإذن الله يتجدد، وضريحك بكف الله قد رُفع، وتعاد قصتك، والملائكة تجلس وتمشي بيننا في اللامكان، والجميع ينتظر الثأر: الآن يظهر- سوف يظهر الآن..

نمْ سيِّدي، في أصوات مواليك، انت الآن أكبر من الزمان والمكان، استفاق دمك في دماء الملايين من الشهداء مقتسمين معك الاسم والمكان، فوق جبهتهم نكهة العشق الإلهي مشرقة، وبين أجنحتهم رَانَ التعفف والتزهد.

أيتها المسبية القادمة الى أرض الطفوف، كيف ستضعين الرأس قرب الجسد ...؟

أيها القادمون لمواساة الوجع والجزع والألم، ماذا ستقولون لسيدة قافلة العشق المدماة..؟

أيتها الأيام والليالي القادمات كيف ستواجهين كربلاء.. ؟ وكيف ستكون بك ارض الشهداء؟،

ماذا ستقول الأرض..؟ وهي عارفة أي جسد نائم على سديمها، والبدر يسهر عليه باكيا بضياء حزن الليل، وتدفئه مرآة شمس الحياة...

نمْ يا سيِّدي، في أصوت العاشقين .. فالعالم اجزم اليوم انك صورة الله وهوية رحمته ومرتكز الايمان، وآياته الباهرات ومثبت الدين بـ(العقيدة والمذهب) حتى أصبحت وأمسيت الطريق القويم الى الله وسفينة النجاة ودستور الحياة، فكنت سيد العالم في كل الأزمان، والكمال المطلق في حياة المؤمنين وهم يتنفسون السر الأكبر الكامن في القلوب، فتوحد الصوت الحسيني باسمك(يا حسين) بكل ألسُن الكون في ضريحك العظيم.

أشعرُ أنّكَ معي وعطرَك يغورُ في جسدي

يا لهذا العطرِ من نسيمٍ يلف الروح. لم أره ولكن رأيت ما يدل عليه.. أشعرُ أنه معي يغور في جسدي. اطمئنانٌ من النور فاض في قلبي فيض الماء، كانت الذنوب تهرب مني وأنا أغتسل بتراب أقدام زائريه، تحسبُ أنني سأتبعها، وحين أجلس تحت قبته تحترق كما تحرق النار الحَطب. فأخرجُ من ضريحه مزيّنا بزينة النقاء ومعطّرا بعطر الشباك.

كنتُ في مجلسي أتابع القادمين من كل حدب وصوب، وأوصد على نفسي كل باب للثرثرة وأتسلل في خيالي إلى ركبهم، وكان كأنه معي كما لاح لي، يراني ولا أراهُ. منشغلا كان بالمشائين المخلصين، قسم يظلهم في الطريق البعيد، وأخرون يتبعهم مثل ظلهم.. ولكن ليس ثمة من رآه.. هو طريق يحمل اسمهُ قالوا، وقالوا كل هذه الخيرات التي تفترش الطريق تعدّها الملائكة بوجوه خدم الإمام يحملون اسمهُ. كيف نقول لا وهو في لحظة يعدون بالملايين، وبلحظة لا ترى سوى الأثار والرايات.. فمن أين تزيد كربلاء بهذه الأعداد التي لا تعد بسهولة؟!. لم نزدد أذن إلا هنا في أربعين الإمام.. هم يقلّون والزائرون يزيدون.

الم يقل انهم لا يتحملون وزر التجمعات، وخلقوا الممنوعات وسبّبوا أسباب القطع. قلت بلى !. من كان قبلهم اشطر منهم حين حارب الإمام بزائريه. وكان ركب الزائرين يُوغل في الصحراء والبراري كمن عليهم غيمة تظللهم بظلال تسطع منه الأضواء لا يراها مرتاب او شكاك. يا لهذا الإيمان بالإمام يلف الروح بالعشق فتنتقل الأربعين في كل مدينة ودولة، وكلما يمنعون تتوسع الزيارة. قالوا، ثمة منتظر يرعاها، حين يشتد بنا اليأس وينالنا الإحباط نقصده بدعاء الحجة فتنفتح الأبواب الضيقة فنغرق في حلمِ الانتظار نشبه طيور

الضريح.
قلت، هل سمعت الذي أسمعه فقد ارتعش جسدي وخفق قلبي ولم استطع أن أسيطر على مدامع عيني، كنت أكتب عنه وأسمعه في رأسي وأحسّ كأني أطير في حول ضريحه والمواكب والزائرين. قال، ابشر فقد وافق الإمام على خدمتك، وتقبّل زيارتك.. فحافظ عليها فالطريق طويل.. رفعت رأسي تحت القبة فشممت ذات العطر الذي يسحرني فيطمئن قلبي بانني على طريق الإمام أسير..

كيفَ ترى لآلئَ الشغف التي قدّتْ من كربلاء..؟

سيِّدي، تمهّلْ علينا لا تتعجّل بالرجوع الى جدثك، فالقلب لا يحتمل جنون فراقك. فقد تعودنا أن نراك في كل سارية تحمل اسماءنا، في كل موكب يخدم زائريك، في كل صوت ينعاك، ونلتحم بك روحيا كأننا نراك، ونستغيث بضريحك من أجل ان ينهض المخلص المنتظر قبل الأوان لكي نبقى أنقياء وعلى العهد مشائين، ولا يضلنا المتفاخمون المتفاخرون بغفوة متعة الزمان الزائل.

تمهّل علينا نحن نتنفسُ أنفاسك في كربلاء بما تبقى لنا من انفاس لعلنا نضيءُ ضريحك بدموعنا ونحظى بالشفاعة..

يا ذخر كل نائبة، ومأدبة جمعت كل شيعة العالم لعزاء موحد، وبفناء واحد يتقاسمون في محرابك الغمام ويكسرون فيه كل النذور، وينوحون عليك مثلما ينوح جبل الصبر، ويبكون مثل بكاء زين العابدين. فأنت يا مولاي الاسم الذي اباحه الله لنا لنعيد بك الموهومين والمتشككين ونفقأ عيونهم بيوم الاربعين.

تمهّل علينا وامنحنا فرصة الوداع، فشيعتك من خدمتك يجمعون مواكبهم كالمراثي بسلاسل العويل واختلطت دموعهم بسرادق العزاء وبقدور الخدمة..

عسى أن يشهد لنا ربان سفينتك قبل ان يصلي صلاة وداع الاربعين، ويكتب اسماءنا على سجادة صلاته ويرانا في نوافله ويمنحنا دعاءه لنكون حسينيين آخر المطاف..

تمهّل علينا.. كيف ترى لآلئ الشغفِ التي قدّتْ من كربلاء، وقد طغت حروف اسمك على ارواحهم، ترافقهم حمحمة مسك عطرك، وبعض قصائد الوداع التي تمزّق القلب..

لذلك دام بكاؤنا لفراقك، وغطيت الانفس المشتاقة بمواويل جزع الرحيل،

فالقينا آخر دموعنا على اديم الطفوف كي لا نتوغل في الغياب عن زيارتك.. تمهّل علينا.. نحن نقرأ في عودتنا سورة الرحيلِ، ونضمد جراحاتنا باللطم والنواح، لا نملك غير بقايا من التعب، ولا زاد لدينا غير البكاء، وقلوبنا أضرحة.. كلما ابتعدنا عن كربلاء يتوهج فيّنا الحنين الى أربعين .

أينَما جلتُ بعينيّ كأنني أراكَ

سيِّدي، أينما جلتُ بعينيّ في ضريحك كأنني أراكَ، فأخافُ أن أكون ليس على طهارة ؛ فمن يعمل معك عليه أن يخافك ويتطهّر!. فأنجرف ما بين الحزن والخوف، وأشعرُ بوجودي بين يديك، في تجاويفِ شباكك، والخوف أرضع تضرّعي من بين ثنايا الزائرين نشوة الرضا الخفية.

رُبَّما كان هذا النداء الأخير لي، وأنا في غفلة عمّا أفعل. ماذا سأخفي عليك وأنا تحت رحمتك؟. أقفُ بين الأرواح المطهرة، أبدّل ذنوبي رضا، والملائكة منشغلة تمحو معصيتي باسمك، وتعود تسجّل معصية وذنوب ما أن أنسى اسمك. ان رضاك اللحظة الكونية المنقذة لي.. حين أراكَ، هي أعظم هدية أنتظرها لحياتي الفانية.

سوف أخترع في الفكر، في البحث عنك، عيونا وقوة بصيرة، وأحمل السلام على مشاعر من الكراهية. فالذين، لم يعدّوا يخافونك تكاثروا، يحاربون الهائمين على وجوههم والناصحون لا يوقفهم الخوف، ويعملون عكس اتجاه النصائح.. بعيداً عن مبادئك، بعيداً عن هيهات منا الذلة.

ما دامَ هنالكَ في القلبِ اسمك، يهطلُ عليّ بالرحمة.. فأنا الاسعدُ وسط هذه الأمواج الكارهة، انسج قصتي معك، وأنحر عزلتي تحت قبتك، وأعقد ميثاقي على عقيدتك، وأدثّر شغفي بعشك بعطر تربتك، وأغطّي روحي بضياء جدثك، واضمّد جراحي بنور ضريحك.

شكراً لتوفيقاتك لي، حين جعلتني أخاف ادخل حضرتك الاّ على وضوء طاهر. شكراً لقلم دمي، احاربُ به كل خرابٍ يمسّ نفسي. شكراً، لأنك جعلتني أكتبُ باسمكَ، وأنمو بترفٍ في قربك.. وما زلتُ أبحث عنك بعشقٍ لأيامي الباقية.

دعني أكلّمْك بطلاقة اللسان مثلما يناجيك صمتي

سيِّدي، أحسُّ بالفزع وفي رأسي العليل متسع لأي حلم وأمل، وفي عينيّ أسئلة لا حدود لها ولا توقّف؟!.. وفي فمي صراخ لا يبرح شفتيّ، وقلبي يحشرج باسمك كأنه شجي من آلامي وجزعي وحرماني.

يخرج في الكلام إليك - نقياً من كل رجس- وأشجاناً لا أجرؤ على أن اذكرها، وأنا - عبدك وابن عبدك- جدا متعب وجسدي ضئيل. أبحث عنك بكل بقاع الضوء، أريد أن أراك في جميع الاشياء.

اجعلني أعطّر عذاب تضرعي مثل خادم مثمر نزيه في مرقدك، يعرفك حق المعرفة، ويخاف الله فيك في كل شيء. وأجعل جسدي فراشا يطمح ان تدوسه أرجلُ زائريك في كل أركان نورك وبكل الجهات، وان رضيت عني ادفنيّ مولاي في أثلامك عميقة الظلال، أو أمنحني فرصة الاستشهاد على طريقك الخالد، أو أمنح مفرداتي صبغة رضاك، لتبقى لي عقدا سرمدياً، كي أمكث حيا بصياغة حب ولايتك، ومتوهجا بضياء ونور عقيدتك.

اجعل حروفي، تتلألأ كأنها روحي التي تئّن تنطلق من دياجيرها كأنين العاشق الجريح اليك يلتمسك ان تخرجه من الاوهام والأحلام والصمت الى بساتين شفاعتك. ودعني أكلمك بطلاقة اللسان مثلما يناجيك صمتي. عسى أن ترمقني بنظرة من عينيك فأغدو كما تريدني وتصيّرني كما تشاء.

سأبزغ كالفجر مع الفجر، وروحي لاسمك فداء.. لأنك أبدي كشمس، كالقمر، كالمياه، كالأرض؛ فأنتَ كالمدى كالزمن كل شيء غرق فيك وكل شيء باق لأجلك.

امنحْ قلبيَ الاطمئنان وعمْدني بضياء القبول

سيِّدي، أشعرُ بثقة النقاء بين مرايا ضريحك، ووجهي تلخصه نظرة رصينة. نظرةُ لا أستطيع استعادتها الا وأقشعر جلدي رهبة.

وعند شباك جدثك يفور دمي، وينهال دمعي بخشوع وخوف، وترنّ في أعماقي تضرعات بصوتٍ خافت، يقرأ قلبي وارث الانبياء، وأتحدث اليك: ايها الوتر الموتور. وأنهض وأجلس وأطوف وأصلي، وأتضرع أن تمنح قلبي الاطمئنان، وتعمْدني بضياء القبول. دثرني أيها النور بين اشعة نورك، واشعرني أنني قريب منك !..

أحسُ أن وجهي في مراياك يضيء، فأذوق نكهة الامان في زمن الا أمان. زمن يرتل خراب البلاد والعباد، ويلهجُ بالصّلوات والفتنة، والعبادة والشهادة والولادة، ولن أقول شيئا عن السياسة والقادة؛ لان من السهل معرفتهما. البطلُ يبقى بعيداً، والفقير يمنح رتبة الموت ببساطة.

والنجف تصرخ بإمامها: لا تقرأ الفاسد يا مؤمن، أقرأ دليل الحق واتبعه، كن يقظاً قبل فوات الأوان.. بلدي في أمانك يا أمير الشهداء أضعها تحت وهج ضيائك، دعها تتنفس في بهائك. فأنتَ أيها البهي، كالمدى كالزمن كل شيء غرق فيك وكل شيء باق لأجلك !..

أيقنت أن الايمان بك ليس قيام ليل وزيارة نهار وخدمة زائر وسيرا على القدمين وزحفا على اليدين..

إن الايمان شيء غير هذا. إنه ثورة ضد الذل الكوني، وحباً للإنسانية، إنه موت وولادة. فمنذُ خمسين عاما من الوهم، لا صوت لي ولا أثر، اشذّبُ أحلامي وأكفِّن القلق وأمنية قلبي أن اصبح نقطة ضوءٍ من مراياك، أو ذرة تراب عند عتبات ابوابك تزهر يوماً لو مستها أقدام المنتظر وزائريك، أو تقبلني خادماً

الثم كل ما حول الضريح لحمل لقب- حسيني- ليكون قدري، وجهي، بيتي، جنتي. ويشار اليّ بالاستقامة والنزاهة والشرف في كل خطواتي، فحيازة اللقب -سيد الأسماء- مرسوم على الجبين وفي حدقات العيون كالصلاة الحزينة في حضرتك التي أمتلئ بها عزاً. ادفنيّ مولاي في أثلامك عميقة الظلال، وأمنح مفرداتي صبغة رضاك.

هُنا في عمق ضريحك فقط.. يجدُ الانسانُ نفسه

سيِّدي، هُنا في عمق ضريحك فقط يجد الإنسان نفسه، وأنا أعتدتُ ان أبقى إنسانا هنا بجوارك، بانتظار الرحمة الكبرى الصّديقُ الغائب!. فهو تمام لغة الله في الأرض التي أنطقها الأنبياء، وأورثها الأوصياء.

من هو المحظوظ يا ترى يُنزل الغائب ضيفاً عليهْ ؟!. لم يزل يقلق الحالمين برؤياه؛ أثر من خطاه في مملكة نورك..

حين أرقد في ضريحك، بجانبك بلا بوعي.. تغادرني الأوهام، وأشعرُ كفك على قلبي يبدد أوجاعي وهمومي كذرات التراب. وأسمعُ صوتك في عقلي: ضع يدّك في ضيائي، وأتحدّ مع نوّري، وأصرخ في طلبي، وأقفْ طويلاً تحت قبتي كي لا تفقد ما تملكه من مَلكة، ولا يضيع منك أجر كلمة. تشبث بمرقدي فتزداد ثقلاً شيئاً فشيئاً في المعرفة وخفة من الذنوب، وليذهب كل ما عدا ذلك فهو زائل، وكل شيء تراه يموت، يموت عن طيب خاطر.

أنا أعتمدُ عليك وحدك، حينما أتوسل وأتضرع لله بك، فكل شيء فيّ ذنب، والحياة فيها بعض الناس أسوأ من الوباء !. أقنعة مموهة بالبراءة، لا تحب بعضها البعض، تهيم بك عشقاً، وتغير غيرها، ولا تتغير.

يكاد اليأس يقتلنا حين نرى الظلم أمامنا ولا نرى أحداً يثور عليه. ويبقى الضمير يلاحقني حين أهرب حين أراهم بلا ضمير، خمسون عاما من الخوف؛ والهرب المستمر.

ما زلتُ في طريقي اليك، ونفسي تشتاق أن أكون حكيماً، أقضي عمري القصير بين أذرع نورك، بلا خوف أو قلق. وما زال شدْو الصوت يجذبني من بعيد اليك، وكلما أقترب منه، أشعر أنه في مملكة رأسي كملك من السماء، يسيّرني نحو الضياء، فتطيرُ روحي بنشوة القبول، بينما تتعلق يداي بفتحات شباك

الضريح.. فأرى نفسي تتلو ما حفظ القلب من دعاء، كلما توقف صوتي، صوتٌ آخر يذكرني. مشهدٌ يتكرر كل يوم.. ثمة سر، هو سري وحدي لا يعرفه غيري.. لكني لا أخطئ بالمعرفة، فالملائكة من حولي، أراهم في وجوه لأناس أعرفهم قد مرّوا بي في عمق الضريح..

حينَ لهجتُ باسمك.. هنا في ضريحك..؟!

سيِّدي، آثرتُ أن أتشبَّثَ باسمك، وقد مسّني الضّرُ، فأنا لا أملك إلا الكلمات اتضرع بها قرب نور جدثك.. وحين لهجتُ باسمك بصدق، هنا في ضريحك مشيت نحو ضيائك صامتاً، جردّني نورك من الخوف، جعلني مخلوقا مختلفاً، أرى نفسي من الطيبين، وبكل فخرٍ مسنود بفكرك، أعطي ولا آخذ، مفصلٌ الى جزئين باسمين كلاهما قادران على شراء الآمال المؤجلة، ولا يفترقان عن عشقك. أنا مجنون باسمك، بمرقدك بأرضك، جنونا أبديا. أكتب برضاك عني كلمات تشبه أشعاراً، لكنها لا تقرأ، أو لا يعرف معناها أحد. قد يتعاطفون معي لحلاوة المفردة، ويستكبرون على فهمِها. يكفيني ان روحي مطمئنة أنك تبصر آلامي المكتوبة بالأحزان. مَنْ يدلني على نورك كي تدركه عيناي فيبصر قلبي ويهرب مني كل سراب؟!. علّمني كيف أكون انساناً، لأعرف نفسي وأموت مطمئناً؟!. فقد تمتلكني الرهبة والفزع، مرة أتعثر فأغطي كوابيسي بالأنين، وأخرى تمتلئ السعادة ،وأتيقن أن النور نورك هو في طريقي، فمن يكون سواك ينتزع الما من متن روحي، ويمنحني هامشا في حضرته، وهامشا في كتاباتي، ويأخذ بيدي، ويغثني حين يشظّي كياني فأبدأ عمراً جديداً طاهراً تمنحه لي روضتك.. ومَشْيتُ في الأثر، أشذبُ لحياتي الباقية نهاراتها في خدمتك. أغزل تضرعاتي بأنفاسي على صمتٍ ورهبةٍ، كي تُلقي بنورك على وجهي. مَنْ يدلّني اليك وفي قلبي ضَوءٌ؟!.. اغمرني بدفء وجودك. خذني إلى ما تُريد أو خذني تضرعا في الثغر، فعطاياك المثمرة أخرجتني من عالم الوهم كما أخرجتني من بين أنفاس موتى كثيرون طوقوا أنفاسي في غفلةٍ من قلبي وسمعي وبصري.. فآن لي أن أتعلم من جديد لغة الصبر، وان لا أرى سواك، ولا اذكر غير اسمك.. كم صلاة وزيارة ودعاء أحتاجُ لاجتاز امتحان الثبات على عهد مبادئك؟!.

أنا أَهوى كربلاءَ باسمك

سيِّدي، ما زلتُ أسدّدَ طرفي الى عوالم ضريحك الخَفيّةِ. مردداً تضرعي تحت قبتك. مؤمنٌ بأنك ترى مقامي، وإن طال غيابك عن قبولي. أو لستَ النور الذي انتزع مخاوف قلبي؟!. أو لست الضوء البهي الذي أضاء رؤياي؟، ونجومك كانت تنقذني من متاهاتي بالنهار الوضيء حتى ازهرت نفسي بقرب مقدسك، متشحةً بالعفوية، مفرغة من العقد. وضياؤك يدفعني نحوك، يطوقني بالنزاهة من الذين يشدونني إلى الوراء. سوداء هي أفكارهم.. نقي كالمرايا البلورية هو ضريحك. يالقدسية الضريح وأنا أنتظر به موتي برغبةٍ وتوقٍ دونما انتهاء، يا لهذا التوفيق وأنا أحلم أن أتذوق أبديتك لبرهة واحدة، أو تكافئني بإشارة رضا.

خشيتُ على الروح التي تتوسل الشفاعة عند جدثك، أن تذوب في الوهم وتُمحى في حياة الغفلة والنسيان، والموهمون يصفرّون في الأذن، يقتربون ما بين العقل والقلب.. العقل يرفضهم والقلب يتقبّلهم، يمضون معاً ما بين نقطة سوداء على ورقة بيضاء. فالمخفي أسود والمطروح أبيض. يغتلي الصدر حنقا لا لون له ولا طعم.. حنق أسود يلسعون بطن وظهر المكان المقدس. اسمك عظيم يطيب للساني لفظه، ولأذني سماع صوته، كل يوم يتضاعفُ هذا العشق المتقد في دمي. أنا أهوى كربلاء، باسمك بلون ترابها، بعطره المنبعث من جدثك عبر قبتك والمنائر. كل يوم تزداد روحي عمقاً كالأنهار الصافية في معرفتك كان ذلك منذ كنت طفلا، وكان معي حلمي ان ارتفع بك، ويكون لي اسماً منك مرتفعا كالشمس، ثم ارتفع بطيئاً مطلاً بين صحائف نورك بحرف ضوءٍ من شمس عوالمك. يا بدايتي ونهايتي، أبقني أمام محراب دمك ساجداً وشاكراً، وابقِ جسدي محملا بترابك. فحولي كل شيء موات والوصول إليك صعب.. اقسم لك إنني سأبقى على سجيتي اقرأ نفسي وأرثي حياتي تحت رحمتك.

مؤمنٌ أن جسدك يقطن قبراً.. وأنت تقطن حيّاً

سيِّدي، وجِّهني بنورك واقصر عليّ مسافات رضاك، فلم تعد روحي تتحمل تناقض الأشياء. في زمن وحده تتحرك الكلمات، وتتلاعب بدمائي الفائرة. وضريحك بضيائه الهادئة، كأنه ينظر إلى قلبي ويجبرني على الكتابة بحلاوة العشق، ويقين العقيدة، ورضا النفس.. كلها تأتيني وتخترق جوارحي في عمق نورك، وهكذا أخرُّ ساجداً، وأجهر بالتضرع، فيخف وزني، وكأني ريشة حمامة بيضاء تعلو تحت سماء قبتك، أحطُ على تاج جدثك وأبثّ لك مخاوفي وشكواي. وأعترف بتناقض تصرفاتي، وارتكابي الذنوب، ومن غير تردد تلهبَّ عليها أنفاسك الطاهرة لتمسحها، لأنك الوجيه.. لا ترجع من سألك خائبا ؟.تلطّفْ عليَّ، ودعني أذوبْ فيك.. اجعلني أكثر اقتراباً في مملكة قدسيتك، حيث تزهر الروح وتنساب النفس ينابيع الى باريها، عَلَّهُ يغمر القلب برحمته، ويطوي انكساري، كلما مستني لدغةُ الحياة. فأجدني، مكبّلاً بقرابة عجيبة مع ضريحك، اتطلعُ عبْرَ شباك جدثك فأرى جنة فاتنة وأبعادا خلابة تسرّ الروح وتطمئن النفس، والريتاج الأخضر والنور الأحمر يرتجف دماغي لهما. وعيناني يقف بؤبؤهما، لا قرارَ لهما إلا الدمع. في قلبي يختبئ كنز رؤياي، مفتاحه أُعطيَ لك وقد اجتاحني هذا السيل من الذنوب، ونزل ثانية الذعر في الفؤاد متلألئا في وجوه لا أعرفها.. ما جعلني لا أفرح لحدوث الخير، ولكن أفرح لعدم حدوث الشر، فتنخفض شعلة القلق، لأنني أشعر أنك قُبالتي قريبا مني.. معك أتحدث مستكيناً لأيما حكم عن وجودي بين خيوط ضيائك الفريدة. لقد كُتبَ على حياتي الضيق شرط أن لا يُمس قلبي الألم وأنت أعلم. هذا صوتي البسيط، أتنهَّدُ به بين عيون أعلامك، أحفر به بين صفحات عطاءاتك. مؤمن أن جسدك يقطن قبراً، وأنت تقطن حيّاً. زائريك، لا فكاك منك أيها المددُ.

اشعرُ بخفقان القلب.. كلما تتَعصَّرني آهات الكلمات باسمك

سَيِّدي، كلّما أتألمَ تدفعني روحي الا ان أزور مرقدك.. فتمنحني ما يروقني من هدوءٍ، وأنا أحتمي بنور جدثك.. وبدون أي تفكير تخنقني العَبرة وأجهش بالبكاء. أستغفرُ لنفسي عسى ان يتوقف نزيف غفلتها المدوّن على صفحات قلبي.

فمنْ لي غيركَ يُنجيني إذ زاحمني قدري؟!.

في حضرتك أكون بطيئاً مُرتبكاً، أطوف وأتضرع، وأهمس وأوشوش وأقرأُ ما لا يسمع، ولا يفهمهُ غير قلبي، وتسمعه الملائكة عني، وروحي ممْسُوسة منْكسرة.. وعيناي تسافر ما بين قبتك وفتحات شباكك.. وتبقى تدور، وتدور فالوصول اليكَ محال.. ويبقى صوت حُنجرتي الحزين المسْلُول الصَّافي ينطق باسمك، يعلنُ عن انت مولاه.

فمنْ لي غيرك يكتبني على لوحِ القبول زائراً ؟!.

اشعرُ بخفقانِ القلب.. كلما تتَعصَّر ني اهات الكلمات باسمك، وأنا لم أزل داخل ضريحك، والألم لا يفارقني، فكلّما أقترب من معرفتك اشعرُ بخفقانِ القلب، فيغرد لساني بالصلواتِ والاستغفار، وأعود لزهوي، وأنا أخاطب أعماقي: حياتي تشبه الكرة تتوجع من الضربات ولا أستطيع ردّ قسوتها إلا في مقدسك.

فمنْ لي غيرك يخفف عني قسوة الحياة، ويبشرني بمعجزة انني إنسان؟!.

في ضريحك أصغي لنفسي، وأرهف السمع، لسماع صوتك في قلبي، وأغمض عيني كي اشعر ان كفك قد جسّت لي نبضي.. هو ذا ألمي، أحملهُ فوق روحي وأمضي اليك أعمى، انضوي حيث نورك، أُرممّ ما نثلم من الروح، وأَتهجّاكَ بقلبي كي يخضّل جسدي هُنيْهة بنور ترابك: يا آخر أمل لي قبل مماتي.

كلُ آلاءِ حروفي إليك .. هل لي برؤياك ؟

سيِّدي، أنا فقيرٌ يئنُّ منَ الذنوب والذبول. يتدافع العشقُ المقدسُ في شراييني فوانيس تصهر روحي، فسالَت دموعي في الاحداق بصمت، وعيناي ترنوان الى جدثك، أضع راحتي فوق شباك ضريحك، أشعر أن جسدي يرتعش من الخوف، تثقل أكتافي، وكتفي ضعيف وذنوبي كثيرة. أثقل، وأتيقن أنك تضع راحتك ضياء فوق خوفي وندمي، فيتحول قلبي الى ماسّة مجلوّة بدموعي، فتزهر نفسي الامّارة بالسوء، وهي تتحاشى ذيول الانا والتكبّر، وتلجم بصدق نياتها ألسنة القسوة ومن في قلوبهم غلّ الحسد والتباهي بمنجز فارغ، واسماء لو وضعتها في ميزان العطاء لكانت صفرا بلا منازع. وحين يحقّ القول فيك ترى وجوههم عن مرآة نورك تستدير خائفة لا يسعفهم بكاء التماسيح أو مكر الذئاب. عجبا كيف يجرؤون ؟..

عجبا كيف تعلموا التلوّن والعبث في عمق مقدسك.؟ وهم شربوا من قربة ماء –عباسك– واغتسلوا بتراب حضرتك.

دعوتُ الله ان لا أكون فكرة حزينة تطوف بك دون معرفة، ومهر الخوف في عيني هو رضاك وبسط رحمتك. وطريقي نحو أن أراك في كل آلاء تضرعاتي اليك، وأن اراك في كل آلاء حروفي.. هل لي أن أحلم برؤياك؟.

عشقك قلادة من دعاء أمي وتوسلات أبي، قد ألبستها كالضوء والنور والنار، فيتجلّ الخوف فيّ ان أدخل ضريحك دون وضوء، أو ليس على طاهرة بالجسد والنفس والقلب.

فمن يعمل معك عليه أن يخافك، كرروا هذا الخوف في ضميركم وتوّقوا صيحة الشياطين كي لا تتحول ارواحكم لروح زرقاء.

انجدني من الظلمة والوهم الواضح، هكذا أمست حالتي، لا أستطيع أن أغيّر

ما في نفسي، مشهدٌ يتكررُ، يدفعني لأنزوي، أداري أخطاء لستُ طرفاً فيها. والصوت الوحيد في رأسي المُتنبئ يصدق عينيه، ومؤمن أنك المفتاح وقفله... سأصغي لنفسي، وأرهف السمع، لسماع صوتك في قلبي، وسأغمض عيني كي اشعر ان كفك قد جسّت لي نبضي..

هو ذا ألمي، أحملهُ فوق روحي وأمضي اليك أعمى، انضوي حيث نورك، أُرممّ ما نثلم من الروح، وأَتهجّاكَ بقلبي كي يخضلّ جسدي هُنيْهة بنور ترابك: يا آخر أمل لي قبل مماتي.

لآلئُ أضاءتْها زيارة العهد تحت قبتك

سيِّدي، عندَ ذكر الحجةِ قرب جدثك يستنفرُ كل حس فيَّ، يتركني معلق اليدين بشباك حضرتك، تشير عيوني المتضرعة لوجودهِ، أراهُ كلآلئ ضوء بين قبرك وقبتك، أقتفي أثره، وأصغي لصدى صوت دعاء الفرج يبرق من أفواه الموالين؛ أملا بالظهور.. ومن الاصوات انتقيت صوتاً من أبهى الاصوات على قلبي؛ هو صوت اسمك، يضرم فيّ شوقاً لا حدود له، أهيم فيه على وجهي، استنشق منه تربة خلودك، يحفّزني أن أكون مخلصا في معرفتك، ويستنطقني أن أحافظ على العهد الذي قطعته على نفسي: أن أكون مخلصا لله ولك وللمنتظر في كل تصرف وعمل. فكلما توغلت في معرفتك، زاد شوقي لرؤياك.. أيها الخالد الساكن في ضمائر الاحرار، ابقني على نزاهة قلبي في حبك ورضاك. لم يبق من حياتي شيء مهم سوى أنت وكربلاء وأنا. كربلاء تدور حولي ثمارها بين عيني، كل الطرقات خارجها اصبحت مقفرة في عيني. اذناي لا تسمعان غير صوت اسمك وأنفي لا يشم الا عطر ضريحك، كأن بيني وبينك اشارة توفيق الهي، حضور باطمئنان، ألمس توفيقاتك بأشيائك في كل مكان. أيها الشفيع اجعلني شمعة مضيئة في محرابك المقدس. عندما تمسكني لآلئ زيارة العهد تحت قبتك، واضع يدي فوق رأسي وأغرق في ملكوت الله؛ ارك وأرى حجتك في قلبي، فأسجد لصلاة شكر بيضاء، فتنزل اليّ السكينة، فتفلت من صناديق احزاني دموعي. منْ أخبرُ فيشاركني ولادتي الجديدة، الى من اتوجه فيعرفني اني أمسكت صك الامان. منْ يقرأ لغتي كالنهر الجاري، رغم بساطتها نحرتها على بابك بيقين أنك باب جنان الله، فأسدلت عليك روحي وأمنت ان عجل الله فرجه يسمع كل نداء ويقرأ كل مكتوب في ضريحك.

أيها الوتر الموتور أعاهدك بنحرك ان لا أنحني عن عهد منتظرك

ما زلت فوق اديم ضريحك اتوسل بترابك

سيِّدي، عشقتك حد الموت وافترشت دموعي بمحراب مقدسك؛ أطالب لوقت الحساب مهله، وتوفقني في طاعتك لأحمل معناي وأمضي يقينا اليك.. ليكون لكل زيارة حضور مقبول تحت ظلك، ولكل خدمة في رحابك لي ضوء ونور، وهذا ورق كلماتي يمد روحي اليك، فأكون به بصمة صوت تبوح لآلئ من قلب عاشق.

ما زلتُ بين زائريك أسمع وأتعلم وهم يقيمون ليالي رجب.. هم قاصدوك ليلحقوا بقافلة الشفاعة فأيام مرورها سريع، فتلهب التضرعات المبتلة بالدموع تحت قبتك كأنها المصابيح توهجت عند شباكك بالماء والنور.. وأنا جئت اليك أبكي بتضرعي، وأوجاع حياتي أنثرها ألم في كل سلام عليك يا سيَّدي..

أنا عبدك.. زائرك.. ما زلت فوق اديم ضريحك اتوسل بترابك. أبحث عن مفردة بيضاء لم يصل اليها قبلي أحد، أبحث عنها دائماً في صلواتي وخشوعي، وكلما أشعر اني لقيتها تكتظ فيّ الاوجاع وتفيض في اللاوعي مفردات عشق مؤجلة.. فأنفض عن متراكمات معرفتك غبار ركام الصمت، فينطلق قلمي وعشقك لصق الروح في نص ينثر نزف الكلمة عطرا.. وكل همي أن أكون الفائز الاول بالأخير في رضاك.

ما زلتُ احتاج توفيقك وأنفاسك، كي أزرعه عشقاً في طيات أوراقي، وأحلم، أحلام التمني أن أصبح خادماً حقيقيا يمسح عتبات أبوابك، ويمسح بوجه تراب أرجل زائريك، وأغرق بدموعهم.. فلم يعد لي في الكون غير طهر ضريحك كماء سلسبيل بل هو أعذب..

يمّمتُ وجهي صوبَ ضريحك.. مُهنئاً

سيِّدي، اليومَ في مقدسِك أطوي كل الاحزان، وأحجب كلَ مسرّات القلب، واختزلُ ما استطعت من الكلمات بما يكفيني كي أتوضّأ من - تل جبل الصبر- وأكتب فرحي على أديم الماء عَلّني أوصل تهنئتي في نافلة التضرع بمولد عزيزتك -زينب-. يحق لي أن أصلّي الليلة صلاة الابتهاج، وأنا متلفّعٌ بآلامي !.

اليوم يمّمتُ وجهي صوبَ ضريحك.. مُهنئاً . أقودُ روحي وأملا سِلالي ما طاب من حلو الكلام، وأغطّيها بالزعفران، وأطلق ابتهاجاتي بالصلوات؛ لعلّي أوقدُ شموع الولادة بدمعي. أنها السيدة - زينب- ذات الاصل الطيب من الشجرة الطيبة، تقدح السماء من فرط فرح ولادتها نجوماً، ورفرفتْ فوق سطوح مواليك الرايات، ورأت الشيعة في مولدك شمساً طلعت آيات، فهرعوا الى روض مقامك ليترجموا الفرح بسخاء الدمع. ويدركوا أن - تل الزينبية- عشقٌ حام، وجرحٌ دامٍ، وزعامة في التضحية والايثار، وصبرٌ وقف الصبر عنده اجلالاً.

نحن اليوم رغم فرحنا تحيط بنا الجراح، ونغرق بسبب الفاشلين في الخراب، عذرا سيدتي بنت البتول، وأنا أشكو أوجاع بلدي بيوم شمعة حضورك البهي.. اعذري جهالتي فالوطن ممتلئ بالغربان، وتجار الدم يغزلون الفواجع في أكباد الفقراء، يدركون جرحاً لا يلتئم في كل صدر.

أيتها الامواج البشرية اغسلي ارض الأحزان بعطر الأزهار، لقد جاءت ساعة ان تشعّ اسماء النور من اللوح المحفوظ.. اوقدوا شموع الفرح ليخرق ضياءها كالشمس فوق العالم، لتصل - زينب- النور الى كل مكان في الوجود، وتطرق ابواب المنعزلين والنائمين ومن في قلوبهم مرض، بأشعة مشعَّة بنور الهداية

وضياء التأمُّل بمولد جبل الصبر.
أنا الواقف هنا.. أمام جدثك لا أملك غير نبضات قلبي، ترتفع عشقاً وحزناً، ولا مؤونة أملك غير الزيارة والتضرع، فسلام عليك، وسلامٌ على الجواهرِ الخمس، اصحاب كساء ورحمة، نسيج الامامة والنبوة.. سلام ومباركة بيوم ظهور قمر عقيلتهم المباركة.

باق عهدٌ للحياة مني أن لا افارقَ زيارتك

سيِّدي، منَحني ضَريحك عمراً جَديدً طاهراً، ومَشْيتُ في الأثر أغزل تضرعاتي بأنفاسي على صمتٍ ورهبةٍ، كي تلقي بنورك على وجهي. فقد أدمنت فتح عيني واغماضهما على بهجة النور على سديم روضتك المقدسة.. يكفيني يا تاج رأسي، أنك موجود في قلبي، يكفيني أني موعود أن أكون بجوارك، أملا أن القاك في يوم مشهود بأبهى صورك..

لأنك مُلّهمي بصوت عالٍ حدثتك روحي عن اوجاعها.. تناجيك تحت هالات نورك عن غدر الاحياء، عن النفس وابتلاءاتها. ما من خطأ أبداً؟!.. فالروح لا تكذب في عرينها. كل الاسرار كل الحجج معلنة، ولا تخفى عنك اسرارها.

لأنك مُلّهمي صوّرت لك الامي ورغباتي ووضعتها بهمس تضرعاتي في سماء جدثك، واضحة مستمرة.. متأملا ان تغمرني بعطف شفاعتك.. فأنا عبدك الذي اضعفته حياة الواقع في زخارفها وزهورها، زهور من صبر لم يعد له من النور الا أشكاله، وعند التوسل مددت اليدين بالضراعة جاء الالم وكان أكثر مرارة عليّ، فتجرعت شراب الصبر كي تتقبلني ولن أفارقك!، فقلبي ما زال يسبقني اليك، فلم يبق لي أمل وعيناي على نورك، فأنت سندي وبك أحتمي.. انت ترى بفضلك فقدَ كل شيء، ولا أنتظر أن اربح شيئاً سوى رضاك. في أي مكان أبلغه لا أشتاق الا اليك؛ ولا أحب لحظة بحياتي مضت، سوى لحظة وجودي بين أنوار هواك، لا طيب لي بعد طيب ترابك مولاي؛ هو شفائي من همجية ظلم الانسان، فالرحلة رحلتك والاختيار اختيارك، فادم عليّ رؤيتك بأحلى صفاتك مولاي. وعهدٌ للحياة مني أن لا تفارقني زيارتك.

اسمُكَ يزيدُني خوفاً وخُشوعاً

سيِّدي، أجمعَ الكونُ أنكَ سفينة النجاة؛ ومن ينطق باسمك دامعاً نائحاً تحرسهُ من حيث لا يشعر. رأيتُ مرأى العين، كيف يشفي ترابك الامراض والعقول والقلوب؟!. ومن عاشورائك كيف يتنفسون بأمان؟!. وفي كربلائك دليل يُبرهنُ أن أبواب الجنة تفتح من ضريحك. ورغم كل الافاعي التي خبأت وأعلنت سمها حقدا، راحت كربلاء تكبر وتكبر باسمك.. هكذا ازدانت مدينتك المقدسة توهجاً، وكل شيء يشير اليها أنها جنة أنت سيدها. طمْأنني اسمك الذي بتنفسهِ ازداد شغفا بك.. وكلما أطوف حول جدثك تتلبسني هالات نورك، فأزداد خوفا وخشوعا، وأشعر أنني مسكين فقير لا أملك الا شغفي باسمك. وفي تضرعات حسراتي أحسُ أنكَ تُزيح بأنفاسك كل يأسي، وتترك ضياءك في قلبي يحفر صوت اسمك عميقا في دربي، ونذوري قرابين كلمات مازالت تنسج سردها بعشقٍ في عمق حضرتك. سيَدي، صوت اسمك هو بلسم شفائي الوحيد حين اصاب بحمى الوهم والغرور والانا. ولا شياطين الإنس تدنو مني حين ألهجُ باسمك، فقد حملت اسمك تعويذة تطردُ عني اذى الهامسين من خلفي والضاحكين في وجهي. أمنح قلبي فرصة أن يسمع صوت أسمك، بعد ان تعبت روحي للوصول اليك. تخنقني اصوات منْ ينادون ويتشهدون باسمك ولا يخافون منك، يأكلون من خيراتك ويخونون.. والمؤمنون تواروا عن الانظار وهم تحت نورك لا حول لهم ولا قوة، صابرين بما منحتهم من فرصة البقاء انقياء تحت افياء ضريحك..!. كلما وقفت تحت قبتك تعثرت بظلي، وامسكت بقوة شباك ضريحك، وابكي خوفا وخشوعا وارجع خجلا تغلبني الرهبة أمام عظمك، فأصدّ ما يمكنني صده من فيضانات أهوائي، وأقاوم تزاحم أمواج الحياة بفضل بلسم زيارة وارث..

يَكفيني أنكَ تبصرُ الآميَ المكتوبةَ بالأحزان

سيِّدي، زيارتُك علمتْني حب الآخرينَ في عصرٍ ماتت بهِ الرحمةَ. عرفتني أن امسك بحبل الله المتين، وأمشي بطريقهِ صابراً، محتسباً، صامتاً في عصرٍ يطرد أمثالي، أتوسل بك خائفاً ان تحيطني بضوئك، واتبعدُ عني مكرَ الماكرين بعفوك. ضريحك علمني أن أكون انساناً يملك بساتين الخير، يوقد النخيل والأشجار شموعاً تضيء دربي في زمن يصالحون فيه الشيطان على أنه ملاك.. ويسألونك: لماذا تختبئ من الشيطان بين الملائكة. وبالتضرعات تحت نور قبتك، وجهتني بنورك لمن أعطي عقلي؟. لمن أكشف وجهي؟. لمن افتح صدري؟. منْ منهم ينطق ويعمل صدقا وسط الغارقين في بحر الباطل. فمن اجل هذا، سنظل نقرعُ بابك.أوقفت أحلامي عند حدود رضاك. أختبئ من محرمات الحياة تحت ظلك.. جردني نورك من الخوف، أصبحتُ مخلوقا مختلفاً، أرى نفسي في الناس الطيبين، أجامل الحقودين على مضضٍ، وأنا بكل فخرٍ مسنود بفكرك، أعطي ولا آخذ، مفصلٌ إلى جزءين باسمين كلاهما قادران على شراء الآمال المؤجلة، ولا يفترقان عن عشق طريقك عن معرفتك عن التوسل باب رحمتك. روحي المشتركة مجنونة بكَ أنا مجنون باسمك، بمرقدك، بأرضك بمعرفتك، جنونا أبديا. أكتب برضاك عليّ، كلمات تشبه أشعاراً، لكنها لا تقرأ، أو يعرف معناها أحد. قد يتعاطفون معي لحلاوة المفردة، ويستكبرون على فهمِها. يكفيني ان روحي مطمئنة أنك تبصر آلامي المكتوبة بالأحزان.. يكفي نفسي تتنفس ترابك. تقبّل زيارتي وتضرعي كي أنشغل عن الحياة بتلميع بيتي الأزلي، كل يوم ازداد آثاما؛ كي لا أكون من العاصين أحتاج إلى ضيائك، فالأيام بدون ضيائك غبار، والعمر بئر اظلم يعمي أوهامي. والكذابون يترصدون نسيج قلبي، والموت سيجيء حتما بلا موعد، وأنا تائه يلعب بي السراب وأنا بجوارك.

أهي يدُك التي تحل كل عواصف الروح..؟

سيِّدي، أهي يدُك التي تحل كل العواصف، وتحلُ كل عقد الروح والنفس وتجعلها مزدهرة في أمان أيدك، أهي إشارة أن يدك التي لن تتمكن أبداً من إبعادي عنكَ..؟. يدك التي تحتقر الكذابين والمراوغين.. يدك التي تحتقر ثقتهم بأنفسهم ولهوهم ودورانهم حول ضريحك كالنوارس تخيف وتقتل حمامك الآمن.. أهي يدك التي تجعل طيور الليل بلا حراك في زينتها وتبرجها؛ لا تثبت نظراتها الا على قلق ذي الأعصاب القاتلة.. أهي يدك التي تجعل شمس النهار صاعقة على الذين لا يبالون بالفسق امنين ان يديك مفتوحتان للتوبة والعودة للطريق القويم. اللّهم أني أشهد أن يديك فوق أيديهم..؟!.

أهي يدك التي تمس شغاف قلبي عند ثورة غضبي فتجعلني حكيماً استمع بلا ملل لوجوه النَرد الرابحة المرفوضة. بلا تردد أشعر بربح مهيب عند أعتاب أبوابك، وسعادة واطمئنان بالقرب من تراب جدثك، كأَني أقيم علاقات بين ضياء مقدسك وقلبي، بين تضرعاتي ونورك، بين زائريك وصوت عيونهم المتهجّدة، بين وحدتي وبينك. وأنا أقاوم جراح الحقيقة وأثبت على القسمَ الذي لا يلين حتى أخرج من ضريحك الى قبري في ثوب بلّوري أرى فيه جمال رحمتك تسكب عليّ بلا حدود.

أهي يدك تغشيني بالرحمة فتجعلني خادما حُرّا.. انسانا آخر حُرّا ذات انسانية أنقش على أديم مقدسك كلمات الجمال الالهي بحب، وأنقش في عيون عاشقيك الامل، وأنقش لزائريك بمفرداتي نوافذ مزدوجة ما بين تضرع وزيارة.. مهما بعدوا عنك يكون نور ضريحك في القلب والعيون.

ما زلتُ أقفُ عند بابك بعيون حرقها الأمل

سيِّدي، منْ الضريح أبدأ حين تُدركني المعاصي، وأخرج عن أطواري وتفيض ذاكرتي السيئة، وأخلط بين الاساطير والكوابيس والاوهام، وينعدم فيّ الاخلاص لتنقلب حياتي حزنا وبؤسا وخيبة أمل!. سيَدي، ما زلتُ أقف عند بابك بعيون حرقها الامل، أمضي بقوةٍ باتجاه قبرك خائر القوى مذنبا، صوتي الهامس أنين لا يسمعهُ غيرك. حزّن قلبي الندامة؛ جرح لا يمكن تضميده ولا تطهيره الا برضاك. أتنكر في هيأة النادمين لأكون تحت رحمة شفاعتك. من دون ان تنظر اليّ أضع رأسي بين ثنايا عتبات ضريحك وأبكي بصلاة حزينة الى حدِ تنزع النفس اللوامة افعالها الدنيوية دون ان تفهم شيئا، بل متنبئة بنبوءات الرضا القلبي والراحة بالنفس والامان للروح، وللحياة أمل!. هو ضوءك قد سرى في جسدي فطهره وحرره من رغبات الشيطان السرية، وسلطته المتصنّعة، والاكاذيب والاوهام. ولساني وكل حواسي ترتل بأعلى الاصوات خجلة؛ تسبيحة الشكر، وأرسم اخلاصي بتهذيب النفس، من الانا المريضة والنفاق، ولأتجرأ بالحسد والغيرة على قدسية حرمك وأومر سلطتك الالهية. فأشعر بالسعادة والرضا والامل!. أقسمت ان أعمل بقلب خال من الأنا، أن لا أقول لا لأي خدمة في ضريحك.أخلص لله وللصلاة ولك. امنحني فرصة لرضاك فما يزال ثمة وقت، وانت الضوء، كل الضوء والنور، أطمع برضاك. بتوسل سأظل أخاطبك كل يوم بكل هذا الألم والامل، كالكتاب المفتوح لا أخفي عليك شيئاً، وأنت تزهر عليّ التراب، وتثبت فيافيّ روحي بثوب الامل، وتحشرني مع الصدور البيض!.اجعلني أرتق به بقايا عمري من غبار يتسلق روحي في لحظات الغرور.. فكلّما رأيتُ مغترا جريحاً تحسسّتُ غروري المكسور، فأقصد ضريحك وأتحول الى ما هو أبهى ما تتنفس به النفس بالأمل..!

حينَ يضجُّ القلبُ عشقاً في ضريحك

سيِّدي، حينَ يضجُّ القلب عشقاً في ضريحك، وحين يهيم بالتضرع تحت قبتك، تسمعه الملائكة المسومون حول جدثك، تعلي به زهوها وتباهي به الملائكة في السماء، وتنقش صورة روحه في نسيجِ ضوء مراياك. فما أنبلَ القلبَ حين يعلن اطمئنانه تحت ظل ضيائك. ويسألكَ: بأنه كله لك، بأحزانه الكثيرة وخطاياه القليلة، يميلُ الى الموت.. بعد أن رأى كل شيء يميلُ الى الموت. فيغفو على سجاد ارض مقدسك، مثل تراب يبكي: خُذني قليلا منك يا تراب الضريح كي أسمع صوته يتلو بصيرته وحكمته عليَّ.. قليلا منك يا تراب البداية لأرحل فيك، فلم يبق في قلبي غير كلمات تنضج في تهدّج لغة تحمل العشق مملوكا له. فلم تبق نفس غير نفسي أروضها حتى تفيء اليك، وأبقي عمري في خدمتك، وأعطيك روحي التي فضت بكارتها الذنوب والمعاصي وظنون الناس لتمنحها الطاهرة وتنظفها من آثامها. كيف بدأت؟.. كيف انتهت؟ هي توفيقات الله أجددها تحت قبتك!، واشارات الرضا تغدو فيّ طرية وناعمة.. بلا تردد أقف على أبواب عتبتك المقدسة، أحاور نورك وأحدق ملء العين بمشهدك، وأراقب كل مفاتيح التضرعات والتوسلات إليك. وتعزف روحي نشيدها اليومي في ضريحك، تبكي اعوامها الماضية، اعوام ثقيلة انتصبت عند حواف المدينة تنعى نفسها المشتاقة الى مشهدك، وتكتب شوقها كلمات امتازت بالحرمان والتعاسة. لم تغادر ذكراك روحي، ولم يفك اسمك السماوي نفسي، بقي يتنقل بين جداران القلب يضجّ عشقا، فلا دار غير دار القلب مسكنك. أيها الابهي في الدنيا والاخرة، لا تكسر خاطري. تقبلني، لا ترفضني، اجلسني على اعتاب ابوابك عبدا خالياً من خطاياه، يتنكب حروفه، ويؤول كل كلام العشق فيك بهدف ان يموت على اعتابك.. فالموت بقربك أكثر صدقا وفيه سر البقاء..

تتجمعُ شتات روحي تحت قناديل ضيائك

سيِّدي، تتناثرُ روحي الهائمة في ضريحك في كل ليلة من ليالي رجب الرحمة.. مؤمن أن من في السماء يسمعني كلما رفعت يدي تحت قبتك. أتحدث بصمت في محراب دمك الى ملك الاكوان عن لغز ضياعي واخطائي وخسران ايام من حياتي دون وعي لوجوده العظيم..

لحظات غضّة قبل أن أتذكر أو أتعلق بوهم – اسمه الرضا والاطمئنان – وهو يتناسل في روحي ونفسي وينمو في جسدي ويدفعني حيا في كل العيون، وينثر الحب والجمال بصدق السريرة ونقائها في عمق ضريحك..

تتجمع شتات روحي تحت قناديل ضيائك، ويلازمني الصمت وانا ابحث في بقع النور عنّ نفسي بين القائمين بأعمال ليالي رجب، وتحت مصابيح الأرض الباكية خوفا من الله، أتوسد بينهم لا اعرف نفسي أكثر وأغوص في بحر المنجيات أملا أن أرى مصباحي فأتبعه، فأتحرر من عبودية الوجوه الدنيوية القاسية.. فأفيق على صوت بكائي الأول الذي أضعته من لا شيء.

ماذا أرى هنا في بقعة النور الالهي(كربلاء).. بين الحرمين بين العتبتين وفي الضريحين..؟ هل ظهرت الجنة بمعنى آخر..؟ هل تحول المؤمنون الى ملائكة..؟ يطوفون حول أبواب رحمة الله، ليراهم الله في أحسن حال عباداتهم. أم هم أصلا ملائكة السماء التي قال عنها الأولون ينزلون في كل رجب يحفون بزائريك ويطهرونهم من الرجس العظيم، ليخرجوا من ضريحك طاهرين، وبوجوه الملائكة.

عفوا منك فقد غلبني النعاس أول الليل وبلحظة التوسل والتضرع توقفت الكلمات، وشاع الصمت، وأصبحت في آخر الحلم أو العمر، اتجول بين النجوم، اتصاعد كاملا في السماء، كل لحظة اسقط في مكان على أفياض

أرضك وأهيم في بحر زاخر من الزائرين، وأشير قائلا: ها هم زائروك الحزانى يبكون بجزع ويتناجون مع الخالق، متيقنين ان الحزن آخره الفرح، والجزع نهاية السعادة الأبدية.. اصحو وعيناي ثابتتان أمام نافذة ضريح المخضب بالدماء الزاكيات، وانظر زوار أيام ليالي رجب هائمين في فضاء الرحمة تضيء ادعيتهم حروفا على شفاههم.. حيث اقف اقصى الحلم اشعر انك فعلا تراني ولا أراك.

الصلاةُ في ضريحكَ سحرٌ لا يوصف

سيِّدي، قربَ ضريحك حيث الصلاة الأكثر قبولاً. أرسلُ شكواي في سمائك الرحبة، كأنها تطوف مع روحي التي تبحث عن منفذ للقبول، فهي لم تزل وفية نشوى كطيور الحضرة التي تطير لكل مكان ثم ما لبثت أن ترجع إليك وتنهي رحلتها عند منائرك وتستقرّ في رحاب حائرك.. بينما يظل جسدي متردّدا ضائعاً، نائياً بين الحلم والوهم والحياة، يصغي لحفيف التنافس الحياتي الكسول.

وروحي التي تجوب ضريحك مطمئنة في ظلك، تحمل معها تضرّعي البائس وخوفي من بُعد المسافة وطول الأمل. تلوذ بك بصمت الصلاة، تبكي وحدتها، عذابها، ذنوبها التي ليس لها حدّ. وهو مجدها الوحيد الأكيد الذي ما زلتُ به أعيش.

فالصلاة في ضريحك سحر لا يوصف، يشعر بها المؤمنون كريشة خفيفة تنزعهم من الظلام وتضعهم في نور الله وتطلقهم بلا خوف إلى الجنة التي يعكس صورتها ضريحك وسط أمواج الزائرين أشبه بالملائكة.

هذا النور العميق حول جدثك، وشباكه المتوهّج البارق كالنهر الذي أغرق فيه ذراعي ورأسي، ألتمس منه شربة لا اظمأ بعدها أبدا، ويقلدني بعذوبته قلبا يدعو وينادى، حتى اسلّم نفسي فرحا للموت، وتغدو آلاف القلوب قلبا واحدا يحملني، ويمرون من ذلك المكان المقدس حيث كانت صلاتي.

في يقظة كل هذه الآمال والأماني والأحلام يبتعد عني كل شيء، واهرب من كل شيء الآك، لأنني أشعر، وأحس، وأتيقن بمعرفة كيف تسمعني حين اصلي لله في ضريحك.

أهفوُ إليكَ لعَلّني في التفاتة الضريح ألقاكَ

سيِّدي، أهفوُ إليكَ في لهفةِ الزائر الهيْمانِ، فللشوَقِ إليكَ شهقة المعاني فأنا أراكَ سِرَّ وجودي وكياني، وكأنك توحي إليَّ أن تخضر روحي في ضريحك عند كل نداء للأذان، فأنطلق بألق النفس المطمئنة حيث صلاة الجماعة في محرابك وعلى اسمِها تنفتحُ الروحُ بالتضرع الخفي فأسمو بين المؤمنين كأنني في غرف الجنان بين حضرة الحنان المنان، أحيي لهفة النور بدعاء صلاتي. ويثيرُ النور نجواي، ويفرش الضوء لي طريقا الى شباكك هادئاً، وفي أوراق قلبي ألف سؤال.

سيَدي، هي إغفاءةٌ صحو مع الصلاة، انفتح بها على الله، والشوق اليكَ موج هادرٌ في كياني.. استعيدُ وجودي وازرع النور بعيني بآية الكرسي وأمضي الى جدثك، أتحدث إليكَ وأنا الجاهل التائه، تموج الحقيقةُ في قلبهِ، طاويا عمره في لوعة المبتلى.. يحضن ضريحك في روحه عشقا يسمو وفكراً يتضرع ان يُنير أيامه الاخيرة هَيماناً بمقدسك.

ين حناياي جوىً مُلهب بصمت الوترْ يزهر بالدمعِ وبصدري آهةٌ مخنوقةٌ، تصرخُ هل من فرصة ان أحمل لقب اسمك (حسينِي، زائرٌ حسيني، خادمٌ حسيني)؟ فيسمع قلبي ضوء القبول، ويلهمُ روحي روحاً تشعُ ازاهيرها في ضريحك، وتُطفئ اوارها برضاك.

ما زلتُ أهفو إليكَ لعَلّني في التفاتةِ الضريح ألقاكَ، أمشي مع مواليك كما شاءوا بفطرة الموالاة لعلني أصوغ عشقكَ كلمات ندية تعرف عاشقيك جمال روضتك وعمق بيان معرفتك. مرة أتعثر فأغطّي كوابيس روحي بالأنين، وأخرى تملؤني بالسعادة، وأتيقن أن النور نورك يهديني الى طريقك القويم، وينتزع آلامي من متن الحياة، ويمنحني هامشاً في حضرتك، وهامشاً في كتاباتي، ويأخذ بيدي، ويغِيثني حين يتشظى كياني وأغرق بخيال الوهم.

ما نحنُ الاّ منتظرينَ.. بغير منتظرنا ضائعون

سيِّدي، ونحن نفرُّ اليكَ، نرى أرواحنا في ضريحك ضاجة بالتضرع لظهور حجتك، ونرى دماءنا معتمةٌ في ظل ضوء دمك. كلما اردنا ان نتطاير فوق دمك، نسمع من يذكرنا بان اجنحتنا من ورق دون ظهور المنتظر. فكل دمائك الزاكية رحيلها إلى السماء الا دموع العين على الوجه نعدها فوق الشفاه مابتَ. ما عُدنا نراهُ وما زلنا نلاحق وقع خطاه هو في الكف دعاء، وعلى الرأس تاج، وعلى قلوبنا رتاج. هو جهاتنا جميعها، نقرأ حزنه فتنزفه الروح قصائد.هو المضيءُ في غربته ما اقربه. اعطينا إحدى اشاراتك ولا نريد شيئاً أخر أبداً.. المؤمنون، وحدهم المنتظرون، فقد نجحوا في برهان غيبتك، لان لديهم هذه الكلمة « المنتظر» الذي يكشف كل غمة ويزيل الاقنعة في مرايا ضريحك نكتشف وجوهنا على حقيقتها، كلّما اقتربنا منها كان للروح ضوء يطل من نافذة يواكب حركاتنا بما يشبه الصلاة، كأنه يشاركنا التضرعات.. فأي مرايا اذن تتسع الآن في شعبان لأفراحنا بلغة الحزن. العالم يعلم ان شعبان اعجوبة الحياة، فولادة من ننتظر ليست للابتهاجات، بل هي عهد في الرقاب!؟. ما زال الموالون يتطلعون من كل نوافذ كربلاء ويصطنعون لأنفسهم الابتسامات. كم هي فريدة هذه الايام من السنة تفتح فيها ابواب السماء لاستقبال طلبات بيعة العهد للمنتظر، على تراب مقدسك مع قطرات دمك، كان الحزن رغم الفرح يظهر. وكانت المصابيح بألوانها تضج بالابتهاج وتفرش ضياءها على السماء كأنها تلامس النجوم!، وتفرش نورها على الارض كأنها ارواح ملائكة تشاركنا مبهورة ببهاء حضور المنتظر.الفرح وردة تجرحنا لان الطف معنا، وشعبان استراحة الشهور ونصفه استراحة الشموس والاقمار المحمدية، وولادة القمر أمل المنتظرين. ما نحن الاّ منتظرون.بغير منتظرنا ضائعون

جئتُك زائراً ولم يبقَ لي غيرُ وجع الكلمات دليلي اليك

سيِّدي، كلَّ يوم أتأبطُ مفاتيح الجنان والصالحين، وأمضي اليك بخطوات بطيئة، وأتمتم بالسلام وأنا اخفض رأسي ويدي على صدري، وعيناي تشيران الى صوب جدثك، وجسدي ما يزال يمشي اليك باحثا عن مكان عند رأسك الشريف يستردُ عند شباك ضريحك ثقته التي تتهشّم كلما بعد عنك يوماً.. لحظة الجلوس يستعيدً راحة البال وينمو من جديد عشقك. كأنك تقرأ قلبي فيصبح وجهي كالشمس وأسافر فيك جرحاً يمزّقني ويجمع شتات عقلي فيهدأ قلبي على أصوات زيارتك ويجمعني معي روحا تحت قبتك.

وأنا في هذا الهيام يقظان في تضرعاتي، تقلبني أكتاف الزائرين بتدافع يكسر في داخلي كل غرور وأمضي مبتسماً في قلبي برضا لا تفسير له. فأشعر أنك في كل اصطدام روحي مع زائرك ترفع عن جسدي مرضاً وتضيف الى روحي طبيبا جديدا والى نفسي قناعة رضا.. كأنك تمنحني معارج لا تنتهي بالدعاء مع كل لطف ونظرة من عيون المتضرعين تحتَ وحولَ نور ضريحك، كأنها اشارة تزكّي زياراتي، فأرى نفسي في مراياك الضوئية زائرا يسامقُ الزائرين في طاعتك فتنزف بسعادة كلماتي عشقا ولساني يلهج بنعمك حتى انثنيت على ركبتي شاكرا ملك السماوات على نعمتك.

ما زلت اطلُّ عليك كل صباح ومساء فأراك تنثُّ رحمة، فأتأملكَ، فلم أجد مظلوما مذبوحا يشبهك، فأنت في كتب السماء، وما كتب في الارض جرح الله واحزان ملائكة عرشه، فتركت كل من ينعمني في الحياة وأحزمت طرقاتي اليك أتعقّب جراحات الدماء الزاكيات واتعقّبها بجزع منذ الطف حتى أعالي أحزان كربلاء على مدى السنين، ولم يبق لي غير وجع الكلمات دليلي الاوحد اليك الى ان أراك.

وعانقتْ آهاتي ضوءَ قناديل ضريحك

سيِّدي، أترقبُ خطواتِك والضوء اقصر وخطواتَي إليك اقل.. واعترف انني في مدينتك أكون الصمت لأضاهي ما أنفت نظرتي، وليس في وسعي أن أرسل بصري أبعد فقابليتي توقفت عند حدود معرفتك حتى أرسيت في مرسى أبوابك عاشقاً، وتحجّر لساني بهواك، ولا شأن لي غيرَ ان أقصّ عليك ما يفيض في صدري، وأنا أنصت أمام محرابك لأسمعك، وأتقلّب، وأنهض، وأعيد عليك كل يوم ما جرى لي من شدة أهوال الدنيا، وأنا بعيد عنك سنوات طوال.

عجزت أن أخطّ بقلمي أوجاعي وروحي انتزعت كل أوجاعها وهي تصبّ ألمها أنهراً متدفقة بلا توقف ولا تستعير الفرح إلا لتكمل حزنها في عمق غور القلب لا يعلمها إلا هو وحده ويفسّر عظمة الشجن الذي ترسله للنفس التواقة لسماع كل ما يقال عن عظمتك يا غريب الغرباء..

سيدي، عجزت ان اخطّ بقلمي كل ما صنعته على أرض كربلائك، وبدأت (أهلوس) في غايات الحدس واكتب الحروف من مجمرة الأسرار، وأصابعي تتصارع، وتندب حظها الرديء كيف لا يكون لها نصيب وافر في قربك وتكتب عشق الروح فيها لك.

توسعت آلامي وسيف الدهر يقايضني في بهجتي، والموت الأسود يمدّ أظافره في عنقي وهو يدنو لمحاربتك لجهله بقدرتك، فتعطل زماني وبدأ قلبي قصة عشق أسطورية وعانقت آهاتي ضوء قناديل ضريحك، واستسلمت لك بكل جوانحي، وبدأت رحلة التضرّع بصمت من يديَّ الى نور جدثك الطاهر، فتحت العينين لكي أكحّل ناظري بهالات مشهدك المقدس.

الغرق ستمسك بالخشب وتترك الذهب، كالصلاة تحت قبتك، نجاة من النار والطريق الى جنان رب العالمين...

وأفرُّ إليك وأتوسمُ فيكَ النجاة

سيِّدي، يكفي أنني حيٌّ أتنفسُ تراب مرقدك بدون ألم، وأرقد بجوارك، وأعوم أعمق نحن معرفتك، طلباً لقبولي تحت ضيائك. ما أعرفه الآن لا يروي ظمأ المعرفة، وما أنا عليه الآن تسقيه ساعاتُ رضاك المنجية فاستطيبها بطمأنينة ..؟. وأراني عاشقاً سائرا اليك أحمل سرا في جمجمتين واحدة كبيرة غارقة لمعرفتك، وأخرى صغيرة تماماً للمرح بحدود البهجة لكسب ود القلوب المحبة اليك.

يكفي أن تأخذ بيدي وتقُودني، وتحررني من قيود نفسي، فما زلت أدرس فن التضرع بك، كي اتخلص من أوهامي؛ فأزدان بك راحة ضمير ما بين الضريح والنور أرسمُ شغفي بدموع الكلمات، أوقدها شموعا تضيء توسلاتي بحق كل الحروف التي كتبت فيك:

دعني أخرج من الدوّامات التي تحفرها روحي يوما بعد يوم كي تُروي ظمأ لهفتي في التضرعات الصامتة، بنوايا أنت عالمها.. ولكن ما زال ارتياعي من نفسي يلاحقني..؟. بالخوف منك، والبحث عن معرفتك، فهي رغبةٌ خرجت من توفيق إلهي تسربت مع آلامي، وبقيت روحي تحت أنوارك تتوجع. يكفي أن أفوض أمري عند أبواب رحمتك، وتحت قبتك، وأفرُّ إليك وأتوسمَ فيكَ النجاة. وكان شاهداً عليّ ضوء ضريحك: عَمّدني برضاك، وامنحني اشارة أغتسل بضوئها ذنوبي، سأظل أنا عبدك الأعمى أدقُّ باستمرار على كل ابوابك، التمسُ أن تتقبلني. امسح عني محنة السؤال!. روحي ونفسي يلتقطان ضوء كلماتك، وعند شباك ضريحك أطلق شفرة اعترافاتي بارتجاف وخوفٍ ورهبةٍ، أرسل اليك عبر تضرعي أسئلتي بدمعة، برجفة، بحكايات تؤلمني في انتشاء وجودي حولك..مكبّلا بالآهات. لحظة صحو الضمير، واغتسال الروح بنور طهور. يكفي أنني أفرُّ إليك وأتوسمَ فيكَ النجاة.

الصلاةُ في ضريحكَ سحرٌ لا يوصف

سيِّدي، قربَ ضريحك حيث الصلاة الأكثر قبولاً. أرسلُ شكواي في سمائك الرحبة، كأنها تطوف مع روحي التي تبحث عن منفذ للقبول، فهي لم تزل وفية نشوى كطيور الحضرة التي تطير لكل مكان ثم ما لبثت أن ترجع إليك وتنهي رحلتها عند منائرك وتستقرّ في رحاب حائرك.. بينما يظل جسدي متردّدا ضائعاً، نائياً بين الحلم والوهم والحياة، يصغي لخفيف التنافس الحياتي الكسول.

وروحي التي تجوب ضريحك مطمئنة في ظلك، تحمل معها تضرّعي البائس وخوفي من بُعد المسافة وطول الأمل. تلوذ بك بصمت الصلاة، تبكي وحدتها، عذابها، ذنوبها التي ليس لها حدّ. وهو مجدها الوحيد الأكيد الذي ما زلتُ به أعيش.

فالصلاة في ضريحك سحر لا يوصف، يشعر بها المؤمنون كريشة خفيفة تنزعهم من الظلام وتضعهم في نور الله وتطلقهم بلا خوف إلى الجنة التي يعكس صورتها ضريحك وسط أمواج الزائرين أشبه بالملائكة.

هذا النور العميق حول جدثك، وشباكه المتوهّج البارق كالنهر الذي أغرق فيه ذراعي ورأسي، ألتمس منه شربة لا اظمأ بعدها أبدا، ويقلدني بعذوبته قلبا يدعو وينادى، حتى اسلّم نفسي فرحا للموت، وتغدو آلاف القلوب قلبا واحدا يحملني، ويمرون من ذلك المكان المقدس حيث كانت صلاتي.

، في يقظة كل هذه الآمال والأماني والأحلام يبتعد عني كل شيء، واهرب من كل شيء الآك، لأنني أشعر، وأحس، وأتيقن بمعرفة كيف تسمعني حين اصلي لله في ضريحك.

ويُسمعُ قلبُكَ صوتَ الصائمينَ.. فنسمو الى الحُجب العالية

سيِّدي، بحبر القلب أكتب عشقياتي، ومن أعماق وجداني تخرجُ كلماتي مجبولة بكلّ حروف النور التي تغمر اسمك، فأسمو بروحي الى الحُجب العالية، كأنني حمام الضريح أناجيكَ بهمهمات ملتاعة، فأذوبُ في لُطفكَ وأنتشي بعطر ترابك الذي يَلُفني في خدرِ صائم، واستمع الى تضرعات الصائمين فيصحو قلبي بها ويُرنحُ نجواه عاطفة تسمو اليك، فأحياك عاشقاً؛ تُلوّن بالشوقِ وحيَ قلبي فكرا بمعرفتك.

، بيقين القلب أن قلبك يسمعُ صوت الصائمين عبرَ الضّوءِ، فنرتوي بالنجوى، وترفرف في مآقينا فرحة مناجاتك، كأن كلّ من في حضرتك يعانقك، ويعيش في آفاقه حياة الجنة، ونراك وراء ذرات النور وفي الصلاة؛ ضياءً يطوف معنا حول جدثك، يضيف من نورك لنورنا نورا

أنا أهواكَ رعشةً في دمائي تتضرع بجزعٍ تحت قبتك.. فلم يبق لي من توسلاتي الا ما أراه وأتألم، فقد طواني المدى، واستقر عمري بين أنهر روضتك، وارتضيتُ برضا العاشق الخادم المطيع في مغانيك. ازيل اوجاع حيرتي حين أناجيك، روح تكتب عشقياتها في همس الضمير.. هي كلمات ترشُ العبير فوق جروح خلجات روحي التي تاهت يوماً في مهب الريح.

لا أعرف غيركَ أيها الشفيع؟! تلطفْ عليّ برؤيا، بإشارة كي اذوب في عالمك، لا تتركني وحيداً في رمضان الخير أهذي مع تأويلاتي وظنوني، ما دامت الصلاة تجرني في ضريحك، روضّني واطوي انكساري. واجعلني كالأرض التي ضمت تربتك، أتسرب من ينابيعها وافيض وحدي في ضيائك. يمر في مرافئ عمري شهر طاعة وغفران كأمشاط نور وسط الدخان، وأنا فوق مقدسك الحنون صوت بسيط يدق باب رحمتك وحيداً: كن حارس قلبي وافعل بي ما تشاء.

لا مؤونةَ أملكُ غيرَ كلمات تضرعاتي

سيِّدي، أشهدُ الآنَ: أنَّ بيني وبين أن أراك خيطاً تلمستهُ، تنفسته!.. وبرهانيَ العشق الذي لا أراه، كلماتي التي تتكون منها جذوة الحب نوراً تتجوّل فيك. فتوجني ضياءك زائراً، خادماً أعْدو خلف نورك، أبحثُ في اللغة عن مفرداتٍ أرميها تحت قبتك، وأدقّ بها باب جدثك وأبكي.. وحين يحاصرني الزائرون انفلت إلى صدر شبكاك الطاهر أتوسده وأغرق بصمت بكائي، وفيّ ألمٌ لم أجربهُ من قبل. كأنكَ ناديتَ عليّ فأمدُّ إليك يدي: أو لستَ ما زلتَ حيّاً، أو ليسَ ضريحك جنة. اشهدُ أني أتحدث معك يا ضيائي!.. ذاك اليوم لمّا نزلت وجلست على ارض صحنك مع مواليك، وأمام وجهي القرآن الكريم.. أنفاسك قد استرقها المكان، وأنفاسي كأنها تشم أنفاسك، وعيناي تراك في سورة الكهف، وأذناي تسمعان هدير اسمك طويلاً كأني في الذرى الجليلة. هو ذا علم الروح، وقد علا غدائري. أشعرني أنك مولاي لقريب مني، وبدأت أتوهج كالشمعة، ونفير قلبي مثل زمزمة الرعود. كأنكَ تبصرني عبر نورك: إن ما حدث لي في جلسة القرآن تحت أنوار ضريحك، لن يكرر لأحد من البشر.. هي الروح قد أخرجت أطيافها البيض الباعثة للارتياح، هي رؤى الموالي الأليفة فوق الذرى راضية تتهيأ لرحلة أبدية، تبيض دونما انتهاء. وضريحك يبعث بصدى التضرعات المتواترة داعيةً لزائريك بعودةٍ ولقاء حيث نراك في الجنة.غطّي أيامي الباقية بظلكَ، واسكني نقطة في اسمك. أنا عبدك صعب عليّ أنْ أحررَ نفسي منك دون رضاك. فكلما اقتربت بأوجاع كلماتي إليك، وغمست قلمي بجرحي، أحالني حالي إلى مرحلة اصعب. وكلما أكثرت من زياراتي إليك عدت إلى اشتياق أكبر. لا مؤونة أملك غير كلماتِ تضرعاتي..

آنَ لي أنْ أكون على يقين أنك معي وإن لم أرك

آنَ لي يا سيِّدي، أنْ أعترفَ إن عطشي يدلني إليكَ فأسرجت نفسي كالتمني، أحسك قريبا مني كنبض قلبي، كظل الجفن لعيني، واصغي لنورك وانسج منه سجادة الانتظار على عتبة الألم، وأصغي بحضرتك، وأحلم أن يتحقق مرادي ويطوف عليّ ضياءُك متوهجا، يمسح آثامي يُبلِّلُ روحي، يُفكّ مغاليق أسراري النائمة بين سرّي ونَجوايَ، بين روحي وفَتنتها.. والتفَتُ وأنا هائم في ملاذ النور، فاجأتني عطاياك، وختمت الرحيل إلى اصل الدين اشكر النعم، ما أجمل هذا السرور المُضيء!..

آن لي، أنْ أعترف، كلما أغفلت وابتعد نداء العقيدة يوقظني من جديد يزلزل الروح، يصيح بي.. انك ابن هذه الأرض، إنها كربلاء كوكبٌ من شذى ومِدادْ، منها يشع الأمل، وفيها نور فخر الكائنات.

آن لي يا سيدي، أنْ أعترف، ما زالَت بي أوجاع وهموم وأشياء أحاولُ أن أراها، لم يبق لي ما اراهُ غير لُغة تناوئُ ماضي أخذني على حين غفلة إلى الهوامش والمتون، فمذْ فارقتك لم أجدْ زمنا أعود إليه، لم أعرف كربلاء أجمل من كربلائك، يقولون كل ارض هي كربلاء، ولا هناك كربلاء أغلى من كربلائك.. وما من هدى شعَ في العالم إلا وكانت كربلاء هي منبعه...

آن لي، أنْ أكون على يقين أنك معي وأن لم أرك، لأنك أعطيت زائريك ومحبيك وعاشقيك اليقينْ، فأبصروك في برزخ الوجع والجزع وبين البكاء، فكانت هديتهم الإيمان، واطمئنان القلب وهدوء البال. فقد وشمت على قلبي بالولاية، وعلى قدمي بالثبات على طريقك، بعد أن أغرقت بشجن عشقك، وأخرجت بتوفيقاتك من كوكب الماضي. أنا مدين لك ما حييت بعد أن أنقذتني من أوهامي، وعرفتني نفسك كي أظل عن عقيدتك.

سلامٌ لجرح هامة أبيك وهي تؤمّ لصلاة الصبح

سيِّدي، أيُّ نبأ فاجعٍ أبكى السماء مع تراتيل الفجر، فأغلقت أبوابها وأسدل أستار الجنة، فانتفضت الأرضون السبع بين انسداد السماء وانتفاخ الأرض، والرياح التزمت خريطة السكون، والغبش احتضر مع الزمن وهو يشهد انشطار الكون من هامة أبيك، والغيمة هبطت من السماء السابعة تنثر دموعها على جرح هامته لتغسله بلطف وتفيض بالباقي انهارا من الجزع يشرب منه العاشقون الم فراقه.

ما يزال جرح أبيك ينزف، ومازالوا يخافون اسمه. يتكبرون ويورثون أبناءهم حقدا. وتوارت السنون ورغم الانوف صعد اسمه فوق مآذن العالمين، وآذنت واشتبك المصلون مختلفين على اسمه وازدحمت الملائكة بين احتضار موته، ففي كل سنة يتجدد نزف الجرح عند نزول التنزيل، وانفتاح أبواب السماوات بليلة من اعظم الليالي الربانية، ويعيد دمه رسم الطريق من أول التكوين حتى آخر التكوين، وهم يزدادون عداوة والعاشقون يزدادون به، وبك إيمانا رغم إن التاريخ رجف أمام متراس دمه من لحظة ضربة العين الى الاجل المسّمى...

ما يزال جرح أبيك ينزف، وما زلنا نبحث عن سره الاعظم ،رغم اليقين ان دمه الطاهر اسس للعالمين نظاما متكاملا للوجود بأكمله، وأصبح للحياة هدف وإشارات، والهجرة إليك تهدم خوف الزمن الدائر، ويتهجّى التاريخ من الثقب الاتي افعالا لا يقرأ صوت القادمين، سمعوها وتناولتها كتب التاريخ المثقوبة فاستدارت بهم الارض ودارت ومازالت تدور بهم، منهم يعرفون وينحرفون، واغلبهم غافلون يكابرون، ويعيدون الضرب بالخفاء والعلن ليوسعوا جرح هامته على مدى السنين، وآخرون حددوا الجرح وأغلقوا ذلك الثقب الاعور من عين التاريخ.

ما يزال جرح أبيك ينزف، يتماوجون في أعتابه كتموّج اليم في هيجانه، إلا خلصاءك أوحيت لهم بالسكينة والدفء، فأبصروه عالما من القيم الخالدة، وراودتهم الحياة عن نفسها وأدخلتهم في دهاليز عميقة الغور، وهم يواجهون أعداءك وأعداءه من جديد، والعالم يتواصل في سد آذانه، وأدوار ورثة ابن ملجم الغادر، وقاطع رأسك الشريف، تعيد إصرارها على كرهه والانتقام منك، ويجوبون الأراضي فسادا، ويجندّون الموهمين ويأخذون المعاهدات الدموية للانتقام من شيعتك.

العالم كله وقف ينظر بؤرة النور التي انطلقت من مدينتك التي زرعت فيها قوة حية تدل على الوجود، لتصبح صميم الحركة الكونية، وعكست بدمك كل ما هو مرئي وتزيد من عظمة النور، وتقود بنورك الملايين إلى المعرفة واليقين.

يمدّون أيديهم إليك، لأنك كل مسافات الأزمنة، وكل عهود التراب، وكل عهود الدم، وكل الحالمين برضاك، وبشفاعتك ينتهون مطعونين مؤمنين عارفين أن لا يحيا الميت إلا ويموت الحي. فسلامٌ لجرحِ هامة أبيك وهي تؤّم لصلاة الصبح.

الفهرست

اسكُبْ ضياءَكَ شِفاءً في دمِي ٦
أسمعُ صوتَك في قلبي..... ٧
أنتَ يا سيدي.. وطنٌ أعشقُهُ ٨
أطيب المناداةِ عندي.. السلام عليك سيِّدي ومولاي ٩
في ضريحِكَ.. أفتشُّ عن بقعة ضوء تضمُّني..... ١٠
يا بنَ فاطمةَ.. أسألُك الأَمانَ بليالي القرآنِ..... ١١
كلُّ جرحٍ باسمك كتاب.. وكل موت باسمك شهادة..... ١٢
صوتُكَ أيقظَني من غفوتي ١٣
زِدْ عليَّ توغّلي.. كي أفيضَ فيكَ سيلَ روحي ١٤
عندَ باب رأسك الشريف كأن قدميَّ لا تلامسان الارض ١٥
منْ يعملُ معك عليهِ أن يخافَّك ! ١٦
يا منْ تنسجُ حزني عشقاً في ضريحك قدني الى ضيائِك ١٨
جُئتك أحمل جميع أحلامي ٢٠
روحي مطمئنةٌ بظلِّكَ ٢١
كل فصولك استيقظت في دمي ٢٢
آه.. يا مسك شباك ضريحك المقدس ٢٢
اسمُكَ يحيي عذابات الضمير في العيون..... ٢٤
أشعرُ أنَّني.. أُربكُ ببكائي راحتك ٢٥
باسمِ الله.. من زارَكَ بيقينِ المعرفةِ تطهّر ٢٦
على ترابَ ضريحك تنطفئ أعظم الذنوب ٢٨
لا أطمعُ الاّ في رضاك ٢٩
يا ضيائيَ الفريد.. أطيرُ إليكَ ملفوفاً بوَرقِ الضَّوء ٣٠
في زيارتِك أسمعُ صوتاً يضئ بصيرتي..... ٣١

آتي اليكَ بكلِّ هذا الألمِ ٣٢
أتشفعُ لي لِيغفرَ الله لي ؟ ٣٣
أحتاجُ الى صلاةِ شكرٍ لله بحضرتك ٣٤
اسكُبْ ضياءَكَ شِفاءً في دمِي ٣٥
أقبلْ عليّ بنورك .. لأعرف أنّك قربي وأنّك فيّ ٣٦
أنرْ فيَّ هذا الظمأ الذي ذوب حروفي.. في محبتك ٣٧
ألأنِي أكبر فيك.. فآليتُ على نفسي أن لا أعرف سواك ٣٨
الوجيهُ لا يُرجع زائره المحتاج للضوء ٤٠
اَلَيْكَ الْتَجَأنا..لا تَسْحَبْ شفاعتك عنْا ٤١
اليك في هذه الليالي الالهية اتضرع وأتوسل ٤٢
ضَّرِيحُكَ نهري.. رفعتُ لهُ أكُفَّي رايةً وصوتاً ٤٣
تحت قبتك ... لا يحضر إلا التضرع والحاجات الصامتة ٤٤
أمدُّ يدي مستغيثاً ولا أحد يسمعني غيرك ٤٦
امَّحو عنا ما يكتبه الزمن بلا تبصر ٤٧
امْسح عنا دمع التوجع ٤٨
ضريحكَ يحفّزني .. يستنطقني.. يستنفر كلّ حس فيَّ ٤٩
امنح صوتك خطوتي حيث تراني ولا اراك..! ٥٠
إنَّ أجملَ ما في حضرتِك فرصةٌ للبكاء بنقاءْ ٥٢
دعنِي أكلّمْك بطلاقة اللسان مثلما يناجيك صمتي ٥٤
آن للقلب التائه ان يطمئن بجوارك ٥٥
إن كان لزاما أن أعشقك ...عليّ أن اركب سفينتك ٥٦
انت الضوء... وما زال لدينا وقت للإخلاص لك بصدقِ ٥٨
أنتَ عونٌ لمن لا يجدُ عوناً في بقائهِ وفنائهِ ٥٩
انت مَنْ عرفَ التقاط القلوب الطيبة لخدمتك...! ٦٠

أنتَ يا سيدي.. وطنٌ أعشقُهُ ٦١
أنتَ وحدّكَ ليّ ضوء لا توصف فتنتهُ..... ٦٢
وأنا العبد اللجوج في عفوك ٦٢
انثرْ عليَّ ضياءكَ.. لأسْمعكْ..... ٦٤
أنحتُ عشقكَ صلاة عند جدثك الطاهر ٦٦
حينَ يكبرُ عشقٌ في حضرتك تصمتُ كل الكلمات..... ٦٨
اقرأْ باسمِ نحرك المذبوح أنشودة الحزن ٧٠
بمولد الإمام المهيب .. أطهر روحي بفيءِ روحانية ضريحك ٧١
آهٌ يا كربلاءُ.. في عروقنا قطرات من دم ثائر..... ٧٢
يا اللهُ قد أعلنتْ كربلاءُ حزنَها على سيد شهداء كونك..... ٧٤
لقدْ جفَّ ماءُ الكلامِ غداً يُستشهدَّ – ذو الثفنات – ٧٦
أضعُ كلَّ أحلامي في ضريحك لأجل يوم مليء بالنور ٧٨
كُلُّ لغات الارض تَحْنِي قاماتها لمرقدكَ ٧٩
كي يعلن ربان سفينتك دولتك؟!..... ٨٠
نَمْ في صوتي انت الشهيدُ الحيُ ٨٢
أشعرُ أنّكَ معي وعطرَك يغورُ في جسدي ٨٤
كيفَ ترى لآلئَ الشغفِ التي قدّتْ من كربلاء..؟..... ٨٦
أينَما جلتُ بعينيّ كأنني أراكَ..... ٨٨
دعني أكلّمْك بطلاقة اللسان مثلما يناجيك صمتي ٨٩
امنحْ قلبيَ الاطمئنان وعمْدني بضياء القبول ٩٠
هُنا في عمق ضريحك فقط.. يجدُ الانسانُ نفسه ٩٢
حينَ لهجتُ باسمِك.. هنا في ضريحك..؟!..... ٩٤
أنا أَهوى كربلاءَ باسمِك ٩٥
مؤمنٌ أن جسدك يقطن قبراً.. وأنت تقطن حيّاً..... ٩٦

اشعرُ بخفقانِ القلب.. كلما تتَعصَّر ني آهات الكلمات باسمك ٩٧
كلُ آلاءِ حروفي إليك .. هل لي برؤياك ؟ ٩٨
لآلئُ أضاءتْها زيارة العهد تحت قبتك ١٠٠
ما زلت فوق اديم ضريحك اتوسل بترابك ١٠١
يمّمتُ وجهي صوبَ ضريحك.. مُهنئاً..... ١٠٢
باقٍ عهدٌ للحياةِ مني أن لا افارقَ زيارتك ١٠٤
اسمُكَ يزيدُني خوفاً وخُشوعاً ١٠٥
يَكفيني أنكَ تبصرُ الآميَ المكتوبةَ بالأحزانِ ١٠٦
أهي يدُك التي تحل كل عواصف الروح..؟ ١٠٧
ما زلتُ أقفُ عند بابك بعيون حرقها الأمل..... ١٠٨
حينَ يضجُّ القلبُ عشقاً في ضريحك ١٠٩
تتجمعُ شتات روحي تحت قناديل ضيائك..... ١١٠
الصلاةُ في ضريحِكَ سحرٌ لا يوصف..... ١١٢
أهفوُ إليكَ لعَلّني في التفاتةِ الضريح ألقاكَ ١١٣
ما نحنُ الاّ منتظرينَ.. بغير منتظرنا ضائعون..... ١١٤
جئتُك زائراً ولم يبقَ لي غيرُ وجع الكلمات دليلي اليك ١١٥
وعانقتْ آهاتي ضوءَ قناديلِ ضريحك ١١٦
وأفرُّ إليك وأتوسمُ فيكَ النجاة..... ١١٧
الصلاةُ في ضريحِكَ سحرٌ لا يوصف..... ١١٨
ويُسمعُ قلبُكَ صوتَ الصائمينَ.. فنسمو الى الحُجبِ العالية ١١٩
لا مؤونةَ أملكُ غيرَ كلماتِ تضرعاتي..... ١٢٠
آنَ لي أنْ أكون على يقين أنك معي وإن لم أرك..... ١٢١
سلامٌ لجرحِ هامةِ أبيك وهي تؤمّ لصلاة الصبح ١٢٢
الفهرست ١٣٢

السيرة الذاتية

حيدر عاشور حمودي شبيب العبيدي
haederashoor@yahoo.com

الاسم الفني :حيدر عاشور

مواليد بغداد / ١٩٦٤

- كاتب وقاص وصحفي
- بكالوريوس / جامعة بغداد - كلية الفنون الجميلة(تصميم طباعي)
- دبلوم معهد تكنولوجيا بغداد(هندسة طباعيه) ١٩٨٧ .
- عضو / الاتحاد العام الأدباء والكتاب في العراق
- عضو متمرس(عامل) في نقابة الصحفيين العراقيين منذ عام ٢٠٠٠م
- عضو جمعية المصورين العراقيين بغداد / المركز العام ١٩٨٤م
- نشرت قصصه في أغلب الصحف والمجلات العراقية والعديد من المواقع الإلكترونية، فضلاً عن عمله المستمر في عدد من الصحف العراقية، والإشراف على العديد من الصفحات الثقافية والإسلامية والفنية والمنوعات.
- حصل على وسام وكتاب شكر من حماية الحقوق الفكرية (حماية حق المؤلف في القانون)..
- صدرت له عام ٢٠١١ مجموعة قصصية حملت عنوان (بوح مؤجل) عن دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع في العاصمة السورية دمشق بواقع (١٥١) صفحة من القطع المتوسط كطبعة أولى. وتكررت طباعتها عن دار لأرسا كطبعة ثانية، وعن دار سبك للنشر والتوزيع كانت طبعتها الثالثة..
- صدرت له مجموعة قصصية (زَهَايْمَرات) عن دار الوارث للطباعة

والنشر في كربلاء المقدسة ٢٠١٤م..
- صدرت له مجموعة قصصية (شموع حوزوية لا تنطفئ) عن دار الوارث للطباعة والنشر في مدينة كربلاء المقدسة، تبنت العتبة الحسينية المقدسة.
- صدرت مجموعة قصصية بعنوان(وجوهٌ من الماء).. عن الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين ٢٠٢١م..
- طبع نصوص نثرية بعنوان(عشقيات) عن دار الوارث للطباعة والنشر في مدينة كربلاء المقدسة ٢٠٢٣م، تبنت العتبة الحسينية المقدسة.. وهناك مجموعات بنفس العنوان ستصدر بالتوالي..
- صدر له بحث في الفساد الإداري والمالي (الرشوة أنموذجا)...كمشروع تخرج في كلية الفنون الجميلة.
- تحت اليد مخطوطات في القصة القصيرة والرواية وبحوث متنوعة.
- فوز قصة قصيرة بعنوان(قربان النعمانية) ضمن مجموعة (كلنا حشد) إصدار الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة ،بعد ان حازت على المرتبة الخامسة.
- فوز قصة قصيرة بعنوان (صوتُ ظل) ضمن مجموعة النصوص الفائز لمهرجان تراتيل سجادية ضمن الجوائز التقديرية.
- فوز قصة قصيرة بعنوان (نمرة الفسحة) بالجائزة الثانية في مهرجان تراتيل سجادية لعاد ٢٠١٨.
- بحوث في حياة سيرة أهل البيت تحت عليهم السلام التنقيب والبحث.
- تحت اليد كتاب سيرة حياة النور الإلهي والسراج المنير الإمام على بن محمد الهادي (عليه السلام).

- عمل في أغلب الصحف العراقية في كمسؤول للصفحات الثقافية والفنية، كمحرر ومراسل وكاتب، وكاتب قصة.
- عمل مديراً للأخبار في الموقع الرسمي للعتبة الحسينية المقدسة
- حاليا محرر وكاتب قصة في مجلة الأحرار التي تصدر عن الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة في كربلاء.
- حاليا رئيس تحرير مجلة الموقف السياسي
- حاليا مدير تحرير مجلة المسرح الحسيني
- تحت الطبع (شموع الفتوى الجهادية) مجموعة قصصية الثانية وهناك اربع مجاميع تحت اليد توثق سيرة شهداء فتوى الدفاع الكفائي في محورين مهمين هما استجابة الشهيد للنداء، ولحظة استشهاده.